الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة و تعلميتها–نظام –LMD–

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الموسومة ب:

مفهوم الثقافة في فكر مالك بن نبي

من إعداد الطالبتين:

.هونة خيرة

.قبزيلي سهلة

بإشراف الأستاذ:

. قواسمي مراد

السنة الجامعية:2014/2013

المقدمة

مقدمة:

تعتبر مسألة الثقافة من المسائل الراهنة سواء على المستوى الفكري أو السياسي، فقد حصلت الثقافة اهتماما بارزا في العلوم التاريخية والأتنربولوجية في المقابل لم تحض به جهود كبيرة من الطرف الفلسفي، حيث كانت هناك بعض الإشارات عند "فلهلم فريدرك هيجل" في فينومينوجيا الروح" مع ما اصطلح عليه"البيلدونغ" [*]، وكذلك نجد"جورج زيمل" الذي كان سوسيولوجيا في نمط مقاربته لوقائع البشرية،وقد كتب حول "فلسفة الثقافة" ونجد أيضا"أرنست كاسيرر" الذي بذل جهدا نظريا وعمليا في الاضطلاع بالثقافة كمبحث فلسفي فهذا المفهوم من صلب تفكير العلوم الاجتماعية باعتبار أن الإنسان كائن ثقافي، إذ ان الثقافة تضرب بجذورها في أعماق التراث الإنساني والإنسانية فهي ليست من المفاهيم الجديدة، وحاولنا الوقوف عند أهم معالمها في الفكر الإسلامي إذ هي مستمدة من عالمية رسالة الإسلام،وهذا ما تقرره نصوص الوحي من مثل قوله تعالى"ما أرسلناك إلا كافة الناس بشيرا ونذيرا و لكن أكثر الناس لا يعلمون" [1]، إذ تعبر الثقافة عن روح الأمم، بحيث لم تكن موجودة كمقولة بل كنعت، ولم تكن اسما بل رسما، والرسم هو الأثر، إذا لاحظ "مالك بن نبي" أن هذا المفهوم لم يتواجد كمصطلح، حيث يشير في كتابه"مشكلة الثقافة" أن هناك حضورا لثقافة ما في روما أو أثينا إلا أن مصطلح

---

[*]**البيلدونغ:** هو مصطلح استعمله هيجل و تعرفه ميخائيل أنوود:"**لم تكن كلمة البيلدونغ، في فترة مبكرة تدل إلا على التكوين الفيزيقي للكائن فحسب ، غير أن موزر في القرن 18 أعطاها معن " التربية و التهذيب و الثقافة "كعملية و نتيجة في آن معا**".(ميخائيل أنوود، معجم مصطلحات هيجل ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000، ص 139 .)

[1]-سبأ:28.

الثقافة لم يكن كذلك بوصفه تحديدا أو تشخيصا لواقع اجتماعي أو تعريفا لفكرة الثقافة ،تأسيسا على ماسبق نطرح الإشكالية التالية:

كيف تشكلت معالم فلسفة الثقافة في فكر مالك بن نبي؟

الأسئلة الفرعية :

كيف يتجلى تأثير الفكر الغربي والعربي والإسلامي في مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ؟

ماهو الأساس القاعدي لنظرية الثقافة عند مالك بن نبي ؟

ماالذي جعله يرى في الثقافة مشكلة؟وما البديل الذي قدمه؟

كيف يمكن مقاربة النظرية التي توصل إليها مالك بن نبي مع نماذج عالمية؟

ولعل من الأسباب التي أدت بنا إلى اختيار موضوع الثقافة عند مالك بن نبي هو أن هذا الأخير لم يلق الاهتمام الكاف من الدارسين مما حرم جيلا من أبناء الأمة الاستفادة من فكره و مشروعه الحضاري المتميز، ففكره يمثل أكثر المحطات إشراقا ومن ثمة أكثرها تجسيدا لمختلف التأملات التي اتخذت موضوعا لها منتجات وتجليات الحضارة العربية الإسلامية بنقاط قوتها وخانات ضعفها، تعتبر هذه الدراسة محاولة لإعادة اكتشاف" مالك بن نبي" خاصة في مجال رؤيته للثقافة وهو مجال لم يتناوله الفكر الإسلامي إلا نادرا و بصورة جزئية ، وهذا ما جعل الفكر الغربي يتهم الفكر الإسلامي بأنه فكر لم يعالج مشكلة النظرة المستقبلية إضافة إلى هذه الأسباب الموضوعية، وهناك سبب ذاتي يحرك البحث في أفكار هذا المفكر لدراسة فكر جزائري أصيل، هذا الفكر الذي يرتبط بذاكرته التراثية ارتباطا شعوريا

ووظيفيا، ومع حاضره فكرا وعملا، ومع مستقبله استشرافا واستعدادا، ومع العالم العربي حرقة وتلاحما، والعالم الإسلامي وعيا وتقدما، وهذا ما أوضحناه في هذه المذكرة المتواضعة،حيث إن منهجية العمل استدعت بنا توظيف المنهج التحليلي ، وذلك بتحليل أهم الأفكار مالك بن نبي المتعلقة بموضوع البحث، و حاولنا قدر الإمكان ‘ستخلاص النتائج المترتبة عن هذا التحليل، و دعمناه بإجراء مقاربات مهمة لفكر أحد أهم المتخصيين في سؤال الثقافة في الجزائر، ووفقا لذلك جاءت خطة العمل مقسمة إلى ثلاث فصول بحيث إن الفصل الأول كان موسوم ب"المرجعيات الفكرية لتصور الثقافة" حيث نبرز فيه مدى حضور تأثيرات إسلامية عربية و كذا تأثيرات فلسفية عربية و غربية ساهمت في بروز فكره و نضجه من خلال قراءته لعدد من المفكرين والفلاسفة ، ومن هنا يتفرع هذا الفصل إلى قسمين: أولهما معنون"تأثيرات الفكر الإسلامي" الذي تجلى في الحديث عن مدى بروز النص الديني في كتابات "مالك بن نبي"، إذ أنه جعل الدين أساس قاعدي لجميع أطروحاته، فلا يخلو مؤلف من مؤلفاته بدون الإشارة إلى حديث ديني أو آية قرآنية يستدل بها في تحليلاته، وبهذا كانت أفكاره ملتحمة بالمبدأ القرآني، وثانيهما : تأثيرات الفكر الفلسفي الذي استدعى التطرق إلى مجمل الفلاسفة الغرب و العرب الذين تأثر بهم"مالك بن نبي" وكيف تجاوز بعض الأطروحات وتصدى للبعض الآخر، أي أنه لم يكن ذو توجه إسلامي فقط بل كان مطلع على الفلسفات الأخرى من مثل هيبوليت تين، نيتشه، هومبولت جب وآخرون.

أما الفصل الثاني فيتناول جوهر الموضوع فجاء حاملا لعنوان:"في نظرية الثقافة"، الذي يتفرع هو بدوره إلى مبحثين: المبحث الأول: مشكلة الثقافة من التشخيص إلى الإصلاح الذي تدرج فيه العمل أولا بإحصاء بعض الأمراض والعوامل والأسباب التي جعلت العالم العربي يقع في أزمة ثقافية، و ثانيا استنتاج شروط والحلول والمخرج من تلك المشاكل للوصول إلى النهضة المنشودة، أما المبحث الثاني: تأسيس نظرية الثقافة: الذي يحمل في طياته مفهوم الثقافة الذي أسسه " مالك بن نبي" على أسس عناصر ومرجعيات مستوحاة من صلب التربة العربية الإسلامية، مستندا على مناهج غربية مكيفة ومحترمة لخصائص تلك الشخصية. أما في الفصل الثالث فنعرض بعض المقاربات فيما يخص مفهوم الثقافة بين مالك بن نبي وفلاسفة غربين باعتبار أن هذا المفهوم لم يحظى بالاهتمام الكاف من قبل المفكرين العرب، على غرار الفلاسفة الغربيين أمثال" إدوارد تايلور"،"هيجل"، أرنست كاسيرر".....وخاصة منهم علماء الاجتماع والأنتربولوجيين، ومنه جاء المبحث الأول:"مقاربة مالك بن نبي وإدوارد تايلور" بحيث إن كل واحد ينظر إلى الثقافة من وجهة معينة، فالأول وجهته إسلامية عربية الثاني وجهة أناسية أنتربولوجية غربية، أما المبحث الثاني فكان مقاربة بين "مالك بن نبي" و"هيبوليت تين" الذي تم فيه استعراض ثلاثيات كل منهما و اكتشاف نقاط التشابه و الاختلاف بينهم.

أما عن الدارسات التي تناولت الموضوع مسبقا عن طريق المباشرة من حيث دراسة المفهوم المركزي أو أحد جوانبه، فنجد كتاب "المسألة الثقافية" لزكي الميلاد": الذي خصص فيه

فصلا كاملا لهذه النظرية التي قام بتشريح و تفكيك فكرة الثقافة ومحاولة فهم منطقها الداخلي ، وفحص حكمتها وفلسفتها من خلال ربطها مع أنواع أخرى كالدين والحضارة و المجتمع ،لدى فلاسفة أمثال "عزت بيجوفيش" و"توماس إليوت" و"مالك بن نبي" بالخصوص لاعتبار نظريته في الثقافة أكثر خبرة ونضجا وتماسكا، وهذا من أجل شد الأنظار لهذا المفكر لكي يحظى بالإهتمام الكاف.

أما فيما يخص الدراسات غير المباشرة التي تعرضت لأفكار ذات صلة بالموضوع مثل كتاب"الحضارة و مكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي"ل:"عبد القادر بوعرفة" الذي يمثل رؤية جديدة لهذا المفكر في مجال الرؤية المستقبلية، بحيث ربط فكر "مالك بن نبي" بالقضايا الراهنة وما تثيره من اهتمامات كصدام الحضارات ونهاية التاريخ و العولمة،وهدفه من خلال هذا هو تحرير الفكر الإسلامي من تبعية الفكر الغربي و تجاوزه من حيث هو"فكر يشكل حاضرا مغلقا يحاصر الفكر الإسلامي"، وإجلاء أصالة هذا الفكر وتكمن أصالة دراستنا هذه في تسليطنا الضوء على بعض المرجعيات الهامة التي كانت أساس قاعدي لبناء نظرية "مالك بن نبي"في الثقافة مستنتجين للعلل الخمول والسبات الطويل الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية بعد إنسان مابعد الموحدين، وتوجيه اهتمام للفيلسوف والمفكر المصلح الذي يتميز بنظرته العالمية في معالجة الثقافة كغاية إنسانية متفتحة على غيرها من الفلسفات، يتمثل دليل ذلك في مقاربة التي أقمناها بينه وبين أهم فيلسوفين غربيين اللذان كان أثرهما جلي و بارز في تصوره للثقافة.

تأثيرات الفكر الإسلامي:

عرف بعض السوسيولوجيين الإنسان بأنه كائن متدين بالطبع والفعل، وبما أن الظاهرة الدينية تصبح بالصيرورة التاريخية ظاهرة اجتماعية فإن الشخص يكون تابعا لمعتقداته لدين مجتمعه ومن هنا فكل مفكر يجعل دين مجتمعه أساسا قاعديا لفكره وفلسفته، ولو نظرنا في تاريخ الأمم نرى جليا حضور الدين في أعمال كبار الفلاسفة أمثال" مالك بن نبي"[*1]"، **"توما الأكويني**"،وكذلك "كانت"***،وحتى"هيجل"****،وبهذا نجد أن كل مفكر**

---

[*]مالك بن نبي (1905-1973)هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي ، وهو إبن مدينة العلماء**[111] قسنطينة من أسرة فقيرة مثل غالبية الجزائريين آنذاك تحت الاحتلال الفرنسي ، ولكن الفقر لم يكن حائلا دون تحقيق طموحه بالعلم ، فدخل الكتاب ليحفظ القرآن ويتعلم اللغة العربية ، والتحق بعدها بالمدرسة الفرنسية ، حيث أصبحت لغة المستعمر أداة التعبير في مِلفاته لأمد طويل.

في عام 1930سافر إلى باريس لمواصلة تعليمه في معهد الدراسات الشرقية ، لكن إدارة المعهد لم تقبله بحجة أنه "مسلم جزائري"، وكتب بن نبي عن هذه الواقعة "لم يتم قبولي بالمعهد ، لأن الانتساب للمعهد بالنسبة لمسلم جزائري ليخضع لمقياس علمي ، وإنما لمقياس سياسي.

لم ييأس حينها ، فدرس في "مدرسة اللاسلكي" هندسة الكهرباء ، وعاش في الحي اللاتيني ، حيث كان الجزائريون وأبناء المغرب العربي يعيشون فيه ، فوجدها فرصة لنشر الوعي بين أبناء جالية المغرب العربي بفرنسا ، فتحدث عن الإصلاح و البناء الحضاري ، والوحدة المغاربة بتكتل شمال إفريقيا ضد الاستعمار كما طرح فكرة الوحدة الإسلامية

بعدها فتح في باريس مدرسة لمحو الأمية في مرسيليا جنوب فرنسا سرعان ما أغلقتها السلطات الفرنسية ، وقال بن نبي"في سنة 1938 أسست بمدينة مرسيليا مدرسة الأميين لتعليم إخواننا العمال بفرنسا ، فاستدعتني الإرادة المختصة ومنعتني من مواصلة التدريس في هذا المعهد البسيط بدعوى أنه ليست لدي مؤهلات".

من باريس اتجه نحو القاهرة عام 1956،/ وكانت الثورة الجزائرية قد اندلعت قبل عاميين ، وفي القاهرة كانت له نشاطات فكرية من محاضرات ومساجلات منها مسجلاته مع المفكر الإسلامي سيد قطب حول مفهوم الحضارة والمدينة.

وتعتبر هذه المرحلة لأخصب في حياته كلها ، فقد أنتج مجموعة مؤلفاته منها "شروط الحضارة ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، وما ميز هذه المرحلة هو ترجمة بعض مؤلفاته للغة العربية ، بعدها اكتشف المثقفون المشارفة في مصر ولبنان والعراق أهمية أفكار هذا المفكر الجزائري.

ينطلق في تحليل أفكاره من منطلق دين مجتمعه،سواء كان من المفكرين الغرب أو العرب، وعلى هذا الأساس نجد"مالك بن نبي" جعل الدين الإسلامي قاعدة لجميع أطروحاته، حتى

وبعد 33 عاما في الهجرة ، يعود مالك بن نبي إلى وطنه الجزائر بعد الإستقلال 1963، حيث تقلد من حيث عديدة منها ، مستشار التعليم العالي ، مدير جامعة الجزائر ، وزير التعليم العالي ، ولكنه في عام 1967إستقال وتفرغ للعمل الفكري ، وتنظيم الندوات والمحاضرات.

وأسس "ملتقى الفكر الإسلامي "الذي كان يعقدة أسبوعيا في بيته ، وراده من الشباب فتبنت الدولة هذا الملتقى الذي أصبح يعقد سنويا ويحضر كبار العلماء من الجزائر وخارجها .

وفي سن متأخرة صمم بن نبي على تعلم اللغة العربية ، ونجح في ذلك وألف أول كتاب باللغة العربية "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة " ، وظل بن نبي مواظبا على عمله الفكري ، إلا أن الإجهاد أخذ منه مأخذا فتدهورت صحته ، وفي 31أكتوبر/ تشرين الأول 1973 إنتقل إلى رحمة الله.(مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن،ترجمة القنواتي مروان،الجزئين الطفل والطالب، دار الفكر ، الطبعة 2، بيروت ، 1984،ص ص ص 43،27،64،38.)

**توما الإكويني: لاهوتي إيطالي كاثوليكي شهير من أتباع الفلسفة المدرسية، هو أحد علماء الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بأنه العالم الملائكي، وإعتبرته الكنيسة عالمها الأعظم وظلت فلسفته التوماوية لوقت طويل المدخل الأساسي لمقاربة فكر الكنيسة الكاثوليكية، وتوفي في 1274 غير متجاوز التاسعة والأربعين من عمره، ومن مؤلفاته: في النفس ، في الأخلاق، في الشر، ماوراء الطبيعة.(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهتيون، المتصوفون، دار الطليعة،بيروت، الطبعة 3، 2006،ص241 .)

***إمانويل كانط :ولدفي 1724 في كونغسبرغ عاصمة روسيا ذلك الوقت ، هي اليوم كيلننغراد في روسيا ، كان الرابع من بين أحد عشر ولدا (أربعة منهم بلغوا سن الرشد).إسمه Emanuelوغير إسمه إلى Emmanuelوبعد تعلمه العبرية ، ولم يزل والده يملي إسم عائلتهم CANT، في شبابه كان كانط طالبا قويا حتى ولو كان ضعيف البنية ، وتشدد كانط بقوة على الإخلاص الديني والتواضع والتفسيير الحرفي للكتاب المقدس. من أهم مؤلفاته نقد العقل الخالص ، نقد العقل العملي ، نقد ملكة الحكم ، أهم القضايا التي إهتم بها المعرفة وقدرات العقل الفن والحكم الجمالي ، الأخلاق.(إبراهيم مذكور ، معجم فلسفي،الشؤون العامة المطابع الأميرية،دون طبعة، 1983 ، ص 25.).

**** فيلهلم فريدريك هيجل الذي ولد عام 1770 من عائلة برجوازية صغيرة من أهم مؤلفاته فينومينولوجيا الروح، مبادئ فلسفة الحق 1821- 1807 أنظر(خلف جراد، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع،الطبعة الأولى ، السنة 2007 ،ص264).

مصطلح الإنسان الجديد والنموذج المستقبلي مقتبس من النص القرآني"[1]، فكلمة الشاهد نص عليها الله تعالى في :" **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**"[2]

إن المتمعن والمطلع على أعمال "**مالك بن نبي**" يلاحظ إضفاء كبير للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وكذا استناد وافر لأقوال العلماء المسلمين التي نجدها حاضرة بصورة كبيرة في جميع كتاباته ،حيث نجد الأستاذ "**محمد مبارك** "في تقديمه لكتاب"وجهة العالم الإسلامي" يقول:" **إن مالكا يبدوا في مجموع آثاره لا مفكرا كبيرا،و صاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر، ومنطقه وحماسة الداعية المؤمن، وقوة شعوره، وإن آثاره في الحقيقة تحوي تلك الدفعة المحركة التي سيكون لها في بلاد العرب أولا، وفي بلاد الإسلام ثانيا المنتج وقوتها الدافعة**"[3]

ويتضح منذ بواكيره الأولى هناك إشادة بالدين الإسلامي،وهذا يبرز في جل كتبه وخاصة في كتابيه "الظاهرة القرآنية" و" تأملات"، وكذلك "وجهة العالم الإسلامي"،إذ إن جميع إنتاجاته ذات توجه إسلامي، فهو في الكثير من الأحيان يسترشد بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان ينقل الحقيقة إلى من حوله، وكيفية التعبير عنها،وفي أحيان أخرى يتحدث عن معارك الرسول صلى الله عليه وسلم كمعركة الصفين.

---

[1] _عبد القادر بوعرفة،الحضارة ومكر التاريخ، تأملات في فكر مالك بن نبي، رياض العلوم،الجزائر،الطبعة1، ص139

[2] _ البقرة: 143 .

[3] _مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر،دمشق، دون طبعة،1986 ،ص139

فمثلا في كتابه "الظاهرة القرآنية" تناول كيفية نزول القرآن وكذا أصول الإسلام والخصائص الظاهرية للوحي، كما تعرض إلى موضوعات ومواقف قرآنية، أما في كتابه"وجهة العالم الإسلامي" فقد عالج عدة قضايا تخص العالم الإسلامي مبرزا دور القرآن في حل عدة أمور كالانفصال الذي حدث في العالم الإسلامي (معركة الصفين)، وكذا في كتابه "ميلاد المجتمع" وجل كتبه التي لم تخلو أبدا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن هنا نجد أن إقحام النص الديني يطغى على مؤلفاته، حيث أن عملية المسح الشاملة لكتبه تجعل الباحث يدرك حضورا عارما للفكر الإسلامي، فعندما يتحدث عن الثقافة أو الحضارة يستدل في حديثه على القرآن والسنة النبوية.

وكذلك عن بحثه عن السنن والقوانين الكفيلة بتحول الشعوب من الكلالة والعجز إلى القدرة والفعالية، وانطلق من قوله تعالى "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** "[1]، وقد وجد في آيات القرآن الكريم ملامح للثقافة من خلال قوله تعالى "**واقتلوهم حيث ثقفتموهم** "[2].

وتحدث عن الإصلاح الثقافي كذلك من "وجهة إسلامية "حيث أن الإسلام حرص حرصا كبيرا على أن تكون دعواته رامية إلى الصلاح والإصلاح معا من خلال قوله تعالى "**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و تؤمنون بالله**"[3].

---

[1]- الرعد:11.

[2]-البقرة: 191.

[3]- آل عمران: 110.

وكذلك لإحداث التغير بأن نستحضرالفكرة الإسلامية ،ومن هنا نجد أن فلسفته كانت ملتحمة بالمبدأ القرآني حتى عندما تحدث عن بداية مشكلة العالم الإسلامي جسده في نموذج إسلامي تاريخي،وهو معركة الصفين حيث يقول:"**تلك الحادثة المؤسفة المؤثرة التي نتج عنها التذبذب في الاختيار الحتمي بين علي و معاوية ،وبين المدينة ودمشق ...وقد اختار المجتمع الإسلامي في هذه النقطة الفاصلة في تاريخه الطريق الذي قاد أخيرا إلى القابلية للاستعمار والاستعمار**" [2] أي منذ هذا الحدث بدأت مشكلة الإنسان في المجتمع الإسلامي.

فالجانب الإسلامي "الدين" كان له تأثير فعال في حياة "**مالك بن نبي**" وفي كتاباته لذلك نجد "ألكسيس كاريل" يقول"**لقد أشربت الإنسانية بالوحي الديني أكثر مما أشربت بالفكر الفلسفي**"[3]، وعليه فمرجعية مالك بن نبي دينية مستوحاة من الإسلام بالدرجة الأولى.

وبين لنا مالك بن نبي الأساس الأخلاقي الذي تبنى عليه المجتمعات، فوجد أن الدين هو رأسمال ورمز كل أمة لذلك نجده في كتابه "مشكلة الثقافة " يقول"**أن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن، ومع ذلك فمن الأصوب أن نقول أنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي** "[4].

---

[2] مالك بن نبي ، فكرة الأفرو أسيوية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة 3، 1992 ، ص 110 .

[3] _ ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة 2، 1977 ص310

_ مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الشاهين الصبور، دار الفكر، دمشق، الطبعة 4، 1994 ، ص 74.

فتأثره بالثقافة الإسلامية عامة وبالقرآن الكريم خاصة واضح جلي ومتجسد في معظم كتبه ، بحيث لا نجد له كتابا إلا وتعرض فيه لأهمية القرآن الكريم .

المبحث الثاني:

تأثيرات الفكر الفلسفي

تأثيرات الفكر الفلسفي:

إن الدارس لتراث "مالك بن نبي" يلاحظ أنه ليس فقط ذو توجه إسلامي بل كان مطلعا على الفلسفات الغربية ،حتى وإن لم يكن فيلسوف بالمعنى الأكاديمي ، إلا أنه استخدم آلية التفلسف ،حيث نجد" أنور الجندي" يقول عنه :"**مالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة المفكرين والكتاب فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية و الفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان و الرومان والمسيحية** "[1].

---

[1]بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، الطبعة1، 2005، ص28.

وقد لقب مالك بن نبي بفيلسوف الحضارة من قبل مجموعة من المشارقة أمثال "عمر مسقاوي"، و"عبد الصبور شاهين ".

فنجده قد ناقش فلاسفة الحضارة ،وفي مقدمتهم" **توينبي**"* في فكرة نشوء الحضارات ،وتوصل إلى أن الحضارة لا تستورد ،وإنما هي إبداع فهي ليست بركام من الأشياء ،وإنما هي حسب بن نبي بناء وتركيب للعناصر الثلاث (الإنسان، التراب، الزمن)، وهذه هي الأسس التي تبنى عليها الحضارة ،التي عمادها الدين فهو المسؤول عن تحريك هذه العناصر، وهذه الفكرة نجدها عند "تونبي" الذي أكد هو الأخر على دور الدين في إنشاء الحضارات ويقول شبل فؤاد محمد"**إذ وفق تحليلاته وجد أنه في ظروف انهيار حضارة ما تنبثق ديانة ما عن طريق استجابة الأقلية الخلاقة،وهم من يطلق عليهم (البروليتاريا الداخلية) لتحدي طغيان الأكثرية، واستعرض أمثلة عن كيفية انبثاق الديانة اليهودية والزرادشتية عن استجابة البروليتاريا الداخلية بصفتها عنصرا اجتماعيا تكون مجتمع معين ... ويرى أنه في ظروف مشابهة نشأ الإسلام على يد الرسول "صلى الله عليه وسلم " وجماعته في المجتمع العربي المتفرع مع شقيقه المجتمع الإيراني عن الحضارة السريانية الزائلة"**[1].

وقد تأثر أيضا "بشبنجلر" وأخذ عنه فكرة تقسيم الشعوب بالنسبة لموقعها من الحضارة إلى ثلاثة أنواع هي الشعوب السابقة على الحضارة، والشعوب المتأخرة عن الحضارة، والشعوب

الدراسات *أرنولد جوزيف تونبي : ولد(1889–1975) ودرس اليونانية واللاتينية في أكسفورد وتقلد عدة مناصب منها أستاذ اليونانية في جامعة لندن ، يعتبر أحدث وأهم مؤرخ بحث في مسألة الحضارات ، ولاسيما في موسوعة التاريخية المعنونة "دراسة للتاريخ" التي تتألف من إثني عشر مجلد.(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، الفلاسفة ، المناطقة،المتكلمون،اللاهتيون،المتصوفون، ص246 .)

1 _شبل فؤاد محمد ، حضارة الإسلام في دراسة أرلوند تونبي ، الهيئة العربية العامة للكتاب ، القاهرة ، دون طبعة ، 1975، ص 18

المتحضرة، وأساس هذا التقسيم هو عرقي، أما مالك بن نبي" **فقد قسمها أيضا إلى ثلاثة أنواع وهي مجتمع ما قبل الحضارة، مجتمع الحضارة ومجتمع ما بعد الحضارة** "[2]، وكان تقسيمه نفسي اجتماعي على غرار" شبنجلر".

وقد تحدث عن المرض الحضاري حيث توصل إلى وجود حالة مرضية أصابت الإنسان ما بعد الموحدين الذي يرمز إلى عصر الانحطاط وقد سمي هذا المرض بالأمراض شبه الصبيانية ،وقد أخذ هذا عن" **لنيين**"*عندما درس هذا الأخير الماركسية و ما سيترتب عنها من نقائص نتيجة الوعي الزائف و حتى الماركسية نجد لها حضور في كتابات مالك بن نبي ،ولكن حضور الفلسفة الألمانية كان بقوة حيث لا"**تجد مؤلف لمالك بن نبي لا يحتوي على مفاهيم من وحي الفلسفة المثالية الواقعية ،إذ نلاحظ حضور فريدريك نيتشه بقوة .حتى أنك تشعر أن بن نبي يدعوك إلى قراءة فلسفة نيتشه، وخاصة أن بن نبي كان كثير الاعتداد ببعض آرائه المتعلقة بالإنسان**[1]،فقد تأثر بنيتشه بشكل كبير حيث نجده في كتابه "مذكرات شاهد القرن" يقول"**وكان نيتشه يشغلني خصوصا لأن صواعقه كانت تدوي فعلا في تلك الفترة التي ستفجر فيها الحرب العالمية الثانية**"[2] ونجده كذلك ينصح المثقفين

2_ نورة خالد أسعد ، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة 1، 1997،ص 226.

*لينين : ولد "فلاديمير الينتش أوليانوف" الملقب "بلينين" مأخوذ من اسم نهر سيبيري يدعى "لينا" في 1870 في مدينة صغيرة على ضفاف الفولغا تدعى سيمبيرسك بروسيا. لندن ، يعتبر أحدث وأهم مؤرخ بحث في مسألة الحضارات ، ولاسيما في موسوعة التاريخية المعنونة "دراسة للتاريخ" التي تتألف عشرة أجزاء.

[1]_ عبد القادر بوعرفة ، الحضارة ومكر التاريخ ، رياض العلوم ، الجزائر الطبعة 1، 2006، ص 147

[2]_مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1984، 275

بالقراءة لنيتشه لأنه اعتبره المنقذ من التيه الفكري ،ونجده أخذ من "**نيتشه**"[**] فكرة الإنسان المتفوق ذو الإرادة الفعالة ،وكذلك من البرغماتية فكرة الإنسان الناجح ،إذ أننا نستقر من خلال كتاباته إطلاعه على جل فلاسفة الغرب ،و انتقاده للبعض الآخر و تبنيه لبعض الأطروحات فمثلا نجده ينطلق من "**كروتشه**"[*] الذي يقول أن كل نظرية ترتبط بالتاريخ ارتباطا وثيقا، ذلك أن المعرفة في ذاتها هي تجميع للحظات تتجلى في الشتات المعرفي، وهذا باعتبار أن التاريخ حقل للمعرفة، أما في كتابه "وجهة العالم الإسلامي" ينتقد المفكر المستشرق "**هاملتون جب**"حيث توجه هذا الأخير بالقول أن الاتجاه الإنساني في الفكر الإسلامي كان نتاج تأثره بالفلسفة الغربية. وقد كان يطالب مالك بن نبي بتجاوز العقلانية الديكارتية حيث يقول أن:"**المنهج الديكارتي يقوم على مبدأ فصل الجسد عن الروح ،وما هو عملي عن ما هو إنساني ،وبذلك فالمنهج الديكارتي لا يتلاءم وطبيعة الفكر الإنساني**"[1] فقد كان يدعوا إلى القطيعة مع ديكارت وكذلك التحرر من الوجودية.

وفي بعض دراساته نجده قد درس العقل الإسلامي المعاصر ووصل إلى القول بوجود أوثان تصارع الأفكار الأصلية، وقد تجلى هذا من خلال كتابه (مشكلة الأفكار في

[**]فريدرك فيلهلم نيتشه ولد في(أكتوبر1844م،25أوت 1900)فيلسوف وشاعر ألماني ، وكان من أبرز الممهدين لعلم متميزا، كتب نصوصا نقدية حول مبادئ الأخلاقية والنفعية والفلسفية المعاصرة المادية منها [*]النفس، وكان عالم لغويا والمثالية الألمانية، وكتب عن الرومانسية الألمانية والحداثة أيضا، عموما بلغة ألمانية بارعة ، ويعد من بين الفلاسفة الأكثر شيوعا وتداولا بين القراء ، ومن أهم مؤلفاته: إرادة القوة، العلم المرح، أفول الأصنام، وأهم القضايا التي اهتم بها : الأخلاق، الحقيقة، الوعي، الإرادة أنظر:(خلف جراد، معجم الفلاسفة المختصر، المرجع السابق، ص245).

[*] كروتشه بنديتو: فيلسوف و مؤرخ وناقد إيطالي ، ولد في بسكاسروبي(إيطاليا) في 25 شباط 1866، وتوفي في نابولي 22تشرين الثاني 1952 ، من مؤلفاته: ماهو حي وما هو ميت في فلسفة هيجل، المنطق، الكامل في علم الجمال. (جورج طرابيشي، المرجع السابق،ص 521.)

[1]_المرجع السابق، ص 33 .

العالم الإسلامي) **وقد خص هذا في أحد فصول هذا الكتاب بعنوان (صراع الفكر و الوثن).**حيث اقتبس هذا من "**فرنسيس بيكون**"**من خلال كيفية دراسته للعقل الغربي من خلال نظرية الأوهام أو أصنام العقل.

وكذلك نلمح حضور التحليل النفسي، فدراسته الإنسان أو تعرضه لمشكلة الثقافة تستدعي المعطيات النفسية أي أنه لمعالجة مشكلة الإنسان الذي هو المحور الفعال في العملية الثقافية يجب الإحاطة بالجوانب الشعورية واللاشعورية حيث يشير "**مالك بن نبي**" إلى بعض الأمراض النفسية التي أصابت الذات الإسلامية كالنكوص والازدواجية،ذهان السهولة، فنجد ظهور"**لسيغموند فرويد**"* وكذلك "**غوستاف يونغ**"**و" **أدلر**".

و" **مالك بن نبي**" في تحليله لمفهوم الثقافة ورؤية الإنسان إليها على أنها تقترب دائما بالفن ينطلق من نظرة "**أنطونيو غرا مشي**"***الذي وظف مفهوم المثقف العضوي، وهذا الأخير يدل على المثقف السلبي ذو البعد الواحد ، من حيث أن التثقف العربي في عالمنا حسب "**مالك بن نبي**" ينظر إلى الثقافة نظرة منحطة سلبية، فعندما ندرس" **مالك بن نبي**" نجده دائما يركز على العناصر الثقافية في معالجة الواقع أو نقد، وهذه العناصر هي

**فرنسيس بيكون: ولد في ستراند على مقربة من لندن في 22كانون الثاني 1561، وتوفي في لندن 9نيسان 1626، بنيت على أساس الملاحظة التجريبية و المنهج الاستقرائي، ومن مؤلفاته: التجديد الأكبر وضع دائرة معارف واسعة، الأرغانون، مقدمات للتاريخ الطبيعي والتجريبي، وصف دائرة العقل...إلخ.(جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص 224.)

الطب *سيغموند فرويد :ولد في 6ماي 1856– 23سبتمبر1939، هو طبيب نمساوي من أصل يهودي ، إختص بدراسة العصبي ، ومؤسس لعلم التحليل النفسي ، وإشتهر بنظريات العقل و اللاوعي.

**كارل جوستاف يونغ: عالم نفس سويسري (1875–1961) كان من أتباع فرويد ثم إنفصل عنه سنة 1913، وهو صاحب نظرية النماذج.

التاريخية، ***أنطونيو غرامشي سياسي و فيلسوف إيطالي ، ولد في آليس في(1861– 1937)، من مؤلفاته : المادية الدب و الحياة القومية ، ملاحاظات حول مكيافيلي.

(الإنسان ، التراب، الزمن)، وركز على فكرة الإنسان بحيث أنه من خلاله تتحرك العناصر الأخرى، وهذه الثلاثية تحدث عنها"**هيبولت تين**"(العرق وسيكولوجية،الوسط المكاني، تاريخية الزمن)، وهذا الأخير تحدث أيضا عن تأصيل فكرة الإنسان، وهذا كان محل نقاش فلاسفة القرن التاسع عشر،" **فكانت** " كذلك أشار إلى التقدم الحضاري بفعل الإنسان في مجال الحياة والطبيعة والمجتمع، أي أن" **كانت**" وضع الإنسان جوهر مفهوم الثقافة ويقول إذا تقدم الإنسان تقدمت الثقافة، وهذا لب نظرية الثقافة عند "**مالك بن نبي** ".

أما فيما يخص الفلسفة الإسلامية فلا نجد مؤلف "**لمالك بن نبي**" يخلوا من الحديث عن "**عبد الرحمان ابن خلدون**"* من تأثير للعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية والفكرية والنفسية في تطور للحركة التاريخية والحضارية، غير أنه عبر عنها بمفاهيم ولغة عصره، ولذلك عند حديثه عن الثقافة يتوقف عن دور"إبن خلدون" في مرجعيته الاجتماعية"**فإذا ما رجعنا قليلا في مجال هذا البحث لم نجد أثرا لتلك الكلمة في لغة إبن خلدون الذي يعتبر على أية حال المرجع الأول لعلم الاجتماع العربي في العصر لوسيط**" [1]

ونلاحظ أيضا تأثره ببعض الفلاسفة المستشرقين أمثال" **همبولت جب**" و" **أرنست رينان**" وقد قاده هذا إلى دراسة إنتاج المستشرقين وأثر هذا الأخير في الفكر الإسلامي حيث نجده

الإسلامية، *إبن خلدون : هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ولد في تونس 1222في أسرة متضلعة بالثقافة وتلقى دروسه في شتى علوم الإسلام، ثم أرغمه الصراع بين الحفصين و المرنيينعلى مغادرة تونس ، طلب خلوة في الجزائر في قلعة إبن سلامة حيث حرر أشهر كتاب له المقدمة(جورج طرابيشي، المرجع السابق، ص ص 22،23)

1_مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص 20

يقول"**إنه لمن الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا و ربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أيما تأثير على أفكارنا**"[1].

ولكن المرجعية الفلسفية لا تتأتى فقط من خلال تأثره أو نقده للفلاسفة سواء في الغرب أو في العالم الإسلامي ولكن أيضا في استخدام الحس الفلسفي حيث نرى في" **أغلب الكتب والمحاضرات سيلا من الأسئلة، ونزوعا نحوا لمساءلة والغرض من ذلك كله تنبيه العقول وحثها على التفكير والبحث، وعلى هذا الأساس كان بن نبي يشير دوما إلى تأسيس فلسفة الإنسان من أجل إعادة الإنسان إلى الحقل الحضاري**"[2].

---

1 _مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، الطبعة1، 1991، ص167.

[2]-عبد القادر بوعرفة، الحضارة و مكر التاريخ " تأملات في فكر مالك بن نبي ، المرجع السابق، ص48.

المبحث الأول:
مشكلة الثقافة من التشخيص إلى الإصلاح

مشكلة الثقافة من التشخيص إلى الإصلاح:

شغلت إشكالية الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي العربي اهتمام الباحثين والمفكرين والمصلحين منذ ما يقارب القرنين ونصف، وتباينت الأطروحات حول كيفية إصلاح واقع العالم الإسلامي، لتباين وجهات النظر حول أصل المشكلة التي تعاني منها الأمة الإسلامية منذ سقوط حضارتها، فنجد بعض المفكرين يرون جوهر المشكلة هو يكمن في السياسة ،أما البعض آخر فيرجعه إلى خلل في العقيدة .

وهذا ما ذهب إليه مالك بن نبي في معظم تحليلاته وتفسيراته لإشكالية الإصلاح والتجديد،فهو يرى أن الخلل السياسي والعقائدي وجل أمراض الأمة الإسلامية،إنما هي مظاهر لأزمة وليست جوهرها، لأن جوهرها يكمن في خلل في ثقافة الإنسان، وإضراب في

منظومة الفكرية، وقصور في نسقه المعرفي،وسنستعرض جل الأمراض والأسباب التي جعلت الثقافة تقع في مشكلة، وقد تطرقنا في المبحث الأول لسبب الذي اعتبره مالك بن نبي أول الأسباب ألا وهو مشكل الاصطلاح، بحيث نجد أن الأمة العربية الإسلامية تستخدم كثيرا من الألفاظ ولا تعرف معناها، ولا هدفها ولا المجال الذي انبثقت منه، وهذا ما رأيناه مع مصطلح الثقافة، الذي تبين معنا أنه ذا أصول غربية لاتينية

ينبثق عن المشكل الأول مرض ثاني الذي يطلق عليه مالك بن نبي اسم :

الحرفية في الثقافة: بحيث يرى أن العالم الإسلامي ظل يعاني لفترة طويلة من مرض الجهل و الأمية على أوسع نطاق بين عامة المسلمين، وقد ازداد حالة تأزما بظهور جهل من نوع آخر إنه:"**الجهل الذي يلبسه أصحاب ثوب العلم،فإن هذا النوع أخطر على المجتمع من جهل العوام،لأن جهل العوام بيّن ظاهر يسهل علاجه،أما الأول فمتخف في غرور المتعلمين**"[1].

وكان سبب ظهور هذه الظاهرة المرضية ذلك المجهود الإصلاحي الكبير الذي يعود له الفضل في مواجهة خطر الأمية في مجتمع ما بعد الموحدين غير أنه:"**لما لم يكن هذا الإصلاح قائما على نظرية في الثقافة فقد أشاع حرفية مهذبة يحيل إليه معها أنه قادر على تغير أوضاع الحياة بتعليم الناس تذوق أشياء الحضارة الإسلامية، وبلاغة الأدب**

[1]–مالك بن نبي، شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، وعبد الصبور شاهين،دار الفكر ، دمشق، الطبعة 1، 1987، ص 39 .

العربي"[1].ويبين مالك بن نبي من خلال هذا النص أنه قد تم تحريف معنى الثقافة، ففي الوقت الذي ينبغي أن تكون الثقافة وسيلة لتوجيه السلوك الجماعي من أجل الإنجاز الحضاري نجدها تتحول عند مجتمع ما بعد الموحدين إلى مظهر من مظاهر الزينة الترف أحيانا بعيد عن أي تصور يجعل من العلم آلة لتحقيق نهضة المجتمع الإسلامي:"**غلبت الحرفية على ثقافتنا، فظهر الحشو ولم تستطع البرامج بما يشويها من عوامل انحطاط ، إنتاج غبر حرفين منبثين في صفوف شعب أمي، ففشت ظاهرة التعالم والتعاقل، وغاب المثقف، وغلب المديح على حساب العرض الموضوعي لمشاكلنا**"[2]. وبذلك يكون المثقف هو أول المتخاذلين في طريق النهضة حينما يلجأ إلى المديح والهيام بالكلمات ذات الصيغة الجمالية والواقع الموسيقى:"**وتلك وسيلة رشيقة مناسبة تخفي مواضيع النقص والاختلال، فتحمل الأخطاء وتستر العجز بستار من البلاغة المزعومة**"[3]، كل هذا يستخدمه المتعلم لإخفاء جوانب عجزه المعرفي.

تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية: نجد أن هذا المرض هو أخطر الأمراض وأكثرها تفشيا داخل أوساط الأمة في العالم العربي الإسلامي، لأن مالك بن نبي يرى بأنه لا سبيل لعودة الثقافة إلى وظيفتها الحضارية، وهذا إلا بعد تنظيف عوالم ثلاث من الانحراف والحشو ألا وهي عالم الأشخاص، عالم الأفكار، وعالم الأشياء، وهذا للصلة الوثيقة بين هذه العوالم

---

[1]–مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص61.

[2]–عمار جيدل، نقد مسالك المسلمين في التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي،رؤى، مجلة فصلية تعنى بقضايا التجديد والمستقبل الإسلام ، مركز الدراسات الحضارية، باريس، العدد20، 2003، ص73.

[3]–المصدر نفسه،ص60.

الثلاث وهذا ما يؤكده "**مالك بن نبي**" بقوله"**العلاقة الفاسدة في عالم الأشخاص لها نتائجها السريعة في عالم الأفكار وفي عالم الأشياء، والسقوط الاجتماعي الذي يصيب عالم الأشخاص يمتد لا محالة إلى الأفكار وإلى الأشياء في صورة افتقار وفاقة**"[1]، ومنه فإن فساد هذه العلاقة الاجتماعية راجع إلى خضوع الجسد الاجتماعي لسيطرة النزعة الفردية التي تجعل العمل الجمالي ضربا من المستحيل، فيجد نشاط سلبية الصحيح ويسود النزوع إلى التبرير إلى من جهة أخرى ،كمحاولة لانتصار الذات على حساب مستقل الأمة:"**ولهذا فإن المظهر الأول من مظاهر انحطاط هذا المجتمع هو تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية هو في حقيقة تمزق لعالم الثقافة باعتبارها المحيط الذي يصوغ كيان الفرد ،فأي خلل فيها يعود بالاحتفاظ على الجهود الجماعية والفردية** "[2].

وكذلك ينتج عن تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية غياب التواصل بين طبقات المجتمع أو بعبارة أدق، بين النخبة السياسية والعلمية من جهة وباقي أفراد الشعب،و هذا إما لإنها تدرك بأنها ليست الممثل الشرعي، وإما أن دوار القمة أصابها فأصبحت تخاف عدوى التخلف الذي يعانيه المجتمع،فتبني بينها وبينهم جدارا عازلا ومانعا للتواصل بين القمة والقاعدة، وهو ما ينعكس سلبا على المبادرات التي تقوم بها السلطة فيكون مصيرها الفشل والذي سببه غياب التواصل بين الطرفين"**وهكذا فعندما تتلاشى العلاقة بين أفراد المجتمع والمِؤسسات التي تسهر على رعاية أمن الدول وتذوب كل ألوان الثقة وتظهر في المجتمع**

---

[1]–مالك بن نبي، ميلاد المجتمع،دار الفكر،دمشق، الطبعة3، 1986 ،ص45.

ص [2]–نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دراسة في بناء النظرية الاجتماعية ، المرجع السابق، ص 186، 187 .

أعراض الفساد"[1]. أما في كتابه وجهة العالم الإسلامي فيؤكد هذا بصريح العبارة التي بإمكان الجميع من يسمعها أو يقرأها من أفراد المجتمع العربي أن يكتشف هذا ويتجلى قوله في:"**أن الواقع أننا نلاحظ في هذه البلاد جميعا نوعا موحدا من النقص ألا وهو نقص التنوع، فهناك الباشا والسوقي،والمثقف والأمي، دون أن يكون بين الطرفين يرسم صورة مستمرة للكيان الاجتماعي**"[3].

انحلال عالم الأفكار:وكما انعكس تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية سلبا على السياسة، فنجده كذلك تنعكس بدورها على عالم الأفكار وهذا للارتباط الوثيق بين عالم الأشخاص وعالم الأفكار ويستشهد مالك بن نبي على ذلك بقوله"**تراث ابن خلدون الذي ظل حروفا ميتة في المجتمع الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع عشر**"[2]، وهذا دليل على أن تمزق العلاقات الاجتماعية بِدي بدوره إلى تمزق عالم الأفكار وهذا لتأثيرها الكبير في حياة المجتمعات ويقول في هذا الصدد"**أهمية الأفكار في حياة المجتمع تتجلى في صورتين فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة تجعل النمو الاجتماعي صعبا ومستحيلا**"،[3] وذلك لأن أي نشاط يقوم به الفرد، هو ترجمة لمجموعة الأفكار وتصورات

---

[1]–قادة بحيري، محطات اقتصادية من فكر مالك بن نبي، دار الغرب، الجزائر، دون طبعة،2005، ص143.

[3]_ مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص.152

[2]_المصدر نفسه، ص153.

[3] _مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص14.

التي تسبق الفعل فإذا كانت الأفكار التي يحملها المجتمع أصيلة وفعالة فإنها تدفع بحركية التاريخ نحو التطور أما إذا كانت أفكار من التنوع الميت أو المميت فإنها تعيق المجتمع وتجعله صعبا إن لم نقل مستحيلا "**وكم عاشت الأمة الإسلامية خلال عدة قرون مضت تحت سلطة الفكر اللامسؤول،الذي خدر الأمة وعطل طاقاتها وجمد إبداعاتها، وكبل انطلاقتها حتى وصلت إلى المستوى الذي نعاصر متاعبه الصعبة وأزماته الخطيرة ومشاكله الشاملة** "[1].

وإذا كانت نهضة المجتمع الإسلامي متوقفة على طبيعة الأفكار التي يحملها أفراده، فإن بن نبي يرى أن كل ما يسود المجتمع الإسلامي" **من اختلاف وفوضى في الميادين الفكرية والخلقية أو في ميادين السياسة، إنما هي نتيجة ذلك الخلط من الأفكار الميتة، تلك البقايا غير المصفاة، ومن الأفكار المستعارة التي يتعاظم خطرها كلما انفصلت عن إطارها التاريخي والعقلي في أوربا**"[2]

طغيان عالم الأشياء:

يرى ابن نبي أنه حينما يسود الجهل بسنن التغير الاجتماعي، وتغيب الفكرة لصالح عالم الأشخاص فإن هذا الأخير يقع في أسر عالم الأشياء فيتحول سلوكه وتفكيره إلى نزعة الشيئية، وهذا النزوع إلى الشيئية يسميه بن نبي بمرحلة الطفولة عند الطفل"**فالطفل لا يرى عالم الأفكار، ولكنه يرى أشياء في فكومة من قطع الحلوى، أثمن لديه من الجواهر،وكل**

3_زكي أحمد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية نقدية ، دار الصفوة، بيروت، الطبعة1 ،1992، ص125.

[2]_مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص81.

المجتمعات البشرية تمر بهذه المرحلة من الصبيانية"[1]، ولكن طفولة العالم الإسلامي من النوع المزمن، لأن في العالم الإسلامي فصلت فيه الفكرة عن النشاط، فقد أصبح يواجه طغيان الأشياء على مختلف الأصعدة"**فعوض أن يكون الشيء وسيلة في خدمة الإنسان، وتحت تصرفه يوجهه حسب الأهداف التي يطمح إلى تحقيقها، انعكست الآية عند المسلم اليوم، وأصبح الشيء غاية تطلب لذاتها، ونتيجة ذلك كله، هي أن الشيء قد طغى على عقلية إنسان ما بعد الموحدين، وصار هو الذي يتحكم في إرادته ويوجه سلوكه"**[1]. بحيث أصبحت الكمية والشيء هما المعيار الأساس الذي تصدر وفقه الأحكام والمكانة الاجتماعية للفرد يستمدها من كمية الأشياء والوسائل الموضوعة تحت تصرفه، وهذا ما أكده مالك بن نبي في كتابه "مشكلة الأفكار" بمثاله"**الموظف يعتمد في تحديد رتبته في الترتيب الإداري بعدد الأجهزة التي يستعملها أو لا يستعملها، ففي مكتب واحد لموظف كبير أحصيت أربعة تلفونات أمامه، وخمسة أجهزة تكييف من حوله، وفي العاصمة العربية نفسها كان سلم علي شاب مثقف وكان ابن شخصية ذات مقام معنوي رفيع، ولكنه توقف عن تحيتي منذ اليوم الذي رآني فيه على رصيف نازلا من عربة الدرجة الثالثة** "[2] وعليه حينما يخضع المجتمع لطغيان الأشياء فتصبح "**النتائج في المجتمع الإسلامي تأخذ أحيانا أشكالا تدعو**

2_مالك بن نبي ، فكرة كومنولث إسلامي ، ترجمة الطيب الشريف ، دار الفكر، دمشق،الطبعة 2، 1990، ص19 .

[1]_محمد بغداد باي، التربية و الحضارة بحث في مفهوم التربية، و طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، عالم الأفكار، الجزائر، دون طبعة، 2006،ص 104 .

[2]_مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة و أحمد شعبو،إشراف و تقديم عمر مسقاوي، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة1،1988، ص79 .

للسخرية حينما يحل الشيء محل الفكرة بطريقة ساذجة لينشئ حلولا مزيفة لمشكلات حيوية"[3].

سيطرة عالم الأشخاص:ولم تتوقف مآسي العالم الإسلامي عند هذا الحد بعد كل هذه الأمراض التي أصابت شبكة العلاقات الاجتماعية، وعالم الأفكار وعالم الأشياء بل تجاوزها إلى عالم الأشخاص لينقلب المجتمع الإسلامي ويعود إلى الوراء بحيث يصبح"**لا يعود عالم أشخاصه على هيئة النموذج الأصلي الأول، بل يصبح عالم المتصوفين ثم عالم المخادعين والدجالين من كل نوع، ولا سيما من نوع الزعيم"[1]**، وهذا القول يدل على أن الفكرة مغيبة تماما وموضوع محلها الشخص لأنه مثلا متصوفين أو مخادع أو دجال فهم يرتدون أحيانا أقنعة زعماء مثلما كان يفعل الكهنة في العصور الوسطى الظلامية في الحضارة الأوربية، بحيث يصبح هؤلاء الأشخاص هم المتحكمين في زمام الأمور، والمالكين لحلول المشاكل جميعها، وعلى العامة الإنطياع والإتباع بلا تساءل ولا نقد، وهذا ما يترتب بتعبير **مالك بن** نبي"**على طغيان الأشخاص نتائج ضارة على الصعيدين الأخلاقي والسياسي**"[2]وهذا خطر ناتج عن تقديس الأشخاص الكاريزمية.

انحلال الأخلاق:

لقد أورد مالك بن نبي العديد من الأمراض التي أصابت كيان المجتمع العربي الإسلامي متمثلة في الشلل الأخلاقي و الأجتماعي و العقلي ،ويعتبر" **مالك بن نبي**" أن أخطر

---

[3]_ المصدر نفسه ، ص87 .

[1]_ المصدر نفسه ، ص20.

[2]_المصدر نفسه ، ص20 .

الأمراض هي الخلقية "**وأخطر هذه النواحي هو الشلل الأخلاقي، إذا هو يستلزم النوعين الآخرين ومصدر هذا البلاء معروف، فمن المسلم به الذي لا يتنازع فيه اثنان أن الإسلام دين كامل، بيد أن هذه القضية قد أدت في ضمير ما بعد الموحدين إلى قضية أخرى هي: ونحن مسلمون فنتج عنها نحن كاملون**"[1]، وهنا نجد أن مسلم ما بعد الموحدين ربط بين كمال العقيدة والشريعة بكمال موقفه وأدائه الاجتماعي والحضاري من جهة أخرى، وقد وضح مالك بن نبي ذلك بمثال عن الخلفاء الراشدين الذين كان كل واحد منهم يحاسب نفسه ويعاتبها، ويتألم كثيرا بسبب خطأ نراه اليوم بسيطا، ونموذج ذلك "**عمر بن الخطاب**" الذي كان يعلن أخطائه أمام الناس ويصححها دون حرج، وهذا لا نجده البتة في عالمنا الإسلامي لأن كل قائد يعتبر نفسه مثالي، وهذا الشعور بالطمأنينة يشل حركة التقدم، ويسبب انحراف المجتمع عن الوجهة الصحيحة التي تدفعه إلى الحضارة، ويؤدي إلى الشلل الفكري"**إذا يتجمد الفكر و يتحجر في عالم، ولم يعد يفكر في شيء لأن تفكيره لم يعد يحتوي الهم الاجتماعي**"[2]، وهذا السبب يؤدي إلى نتيجة وخيمة ألا وهي انعدام الوازع الديني، أو الاجتماعي، وحتى الإنساني، وهذه تعد المشكلات الكبرى التي تقف عائقا أمام الحركة النهضوية الثقافية الحضارية، وهذا لأن الضمير الذي ينمي روح المسؤولية، والمراجعة، والنقد الذاتي، والحرص على مصالح المسلمين منعدم لأن أنفس المسلمين اكتنفها الغرور والتعالي الذي يحرمها من إرشاد وتطوير وتحسين أداء الاجتماعي والحضاري .

---

[1] _مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، المصدر السابق، ص85 .

[2] _المصدر نفسه ، ص86.

انتشار اللافاعلية: نجد أن غياب المسؤولية وانتشار الغرور و التعالي يصل إلى حد إفلاس وتعطيل وظائف مختلف مجالات الحياة الأخلاقية و الاجتماعية و الفكرية ، وهذا سببه الرئيسي هو غياب الفعالية في سلوكيات أفراده باختلاف مستوياتهم التعليمة وتوجهاتهم الفكرية بحيث"**يرى جزءا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة**"[1]، وتظهر اللافاعلية كذلك في"**انعدام الرباط المنطقي الجدلي بين الفكر ونتيجته المادية، فالفكرة والعمل الذي تقتضيه لا يتمثلان جزءا لا يتجزأ، والواقع أننا عندما نحلل اطراد أي نشاط له علاقة ما بالحياة العامة للنهضة نجده منشورا من جانب أو آخر ، فإننا فكرة لا تحقق، وإما عامل لا يتصل بجهد فكري**".[2] وهناك عوامل أخرى يستنجد بها الفرد العربي للتعبير بها عن عجزه ويعتبرها الأسباب الحقيقية ألا وهي الجهل والفقر، والاستعمار، التي يصفها الطيب برغوث في كتابه "الفعالية الحضارية والثقافة السننية" بالأدوار الغنائية ويقول"**هي (الجهل و الفقر و الاستعمار) هي العملة الشائعة التي يفسر بها حسن نوايا عجزهم كما يستخدمها الدجالون ليدافعوا عن مشروعاتهم المربحة، مشروعات الشعوذة والمخاتلة، والاستعمار باسم قرير العين**"[3] وانتشار هذه الأدوار الغنائية في المجتمع الإسلامي يؤدي إلى نتيجة سلبية تتمثل في اللامبالاة والرضا بالواقع المتدهور والأليم دون بذل الجهد لتغير ما خطط له الاستعمار، وهذا ما يسميه بن نبي "القابلية للاستعمار "التي يعرفها مالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة " على أنها:"**هي جملة**

---

[1]_مالك بن نبي ، شروط النهضة ،المصدر السابق، ص102 .

[2]_ مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص83 .

[3]_الطيب البرغوث، الفعالية الحضارية والثقافة السنينية ، دار قرطبة، الجزائر، 2004 ، ص ص87، 88 .

أوضاع وشروط فكرية ونفسية واجتماعية وسياسية سلبية، تضع المجتمع في حالة من الضعف والقصور العجز إزاء التحديات المحيطة به، فيجد نفسه في حالة وهن حضاري يفقد القدرة على رد التحديات ويخضع لها مكرها "[1]، ومنه يمكن إجمال أوجه "القابلية للاستعمار" في ذلك الكسل العقلي والعملي، والفتن والصراعات الداخلية الناتجة عن التعصب العرقي .

وعلى الأغلب هذه جل الأمراض التي تمكن "**مالك بن نبي**" من استنتاجها، والتي يعتبرها الأسباب الحقيقية للمشكلة الثقافية التي يجب علاجها وإصلاحها، وهذا ما عمل عليه مالك بن نبي طيلة حياته وهذا ما سنستعرضه في العنصر الموالي.

[1]_الطيب برغوث ، حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الاجتماعية ، دار قرطبة ، الجزائر ، الطبعة 1،2004 ،ص 35.

الإصلاح الثقافي: جاء تعريف "**مالك بن نبي**" للثقافة مشتملا على علاقة عضوية بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة الاجتماعية، والذي يطلق عليه اسم شبكة العلاقات الاجتماعية الذي ركز عليه مالك بن نبي وساهم في علاجه لأنه يمثل لب المشكلة الثقافة،لهذا عملية الإصلاح سوف تبدأ على هذا المستوى أولا:

بناء شبكة العلاقات الاجتماعية: ويقصد بشبكة العلاقات الاجتماعية"**هي مجموعة العلاقات الاجتماعية الضرورية التي توفر الصلات الضرورية داخل عوالم الأشخاص، والأفكار، والأشياء**"[1]، لاعتبار تشكل شبكة العلاقات أول عمل تاريخي يقوم به المجتمع إذ أن ميلاده مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات الضرورية، والشعار الذي اتخذه مالك بن نبي كأساس للتغيير هو قول الله تعالى "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** "[2] هذا هو شعار التغيير الذي اتخذه مالك بن نبي كنقطة بداية، الذي يعتبر الإنسان جوهره، يقول بن نبي "**إن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده**"[3] أي يجب أن تكون شبكة علاقاتنا قوية ومنسجمة ومتماسكة، ولن يتأتى لنا هذا الانسجام في شبكة علاقات إلا إذا استطعنا تغيير نفسية الفرد، ونقلناه من حالته الطبيعية أي من كونه مجرد كائن حي إلى حالته الإنسانية أي إلى كونه كائن

---

[1] _ مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، المصدر السابق،ص 27 .

[2] _الرعد:11.

[3] _ المرجع نفسه، ص28 .

اجتماعي"**أي بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع**"[1]، فحينما تكون السيطرة لصالح النزعة الاجتماعية على حساب النزعة الفردية فتلك هي بداية الطريق الوقف والصحيح باتجاه التغيير والنهضة والتحضر باعتبار أن: "**نظرية الكل الاجتماعي هي أساس تقدم المجتمع، دون تمايز بين إنسان وآخر، بل بانتظام الجميع في إطار تنظمي جماعي، وورشة واحدة نحو أهداف محددة واضحة**"[2].ولن يتم ذلك إلا بجهود تربوية تبني في ذات الفرع ذلك النزوع إلى الجماعة والالتزام بقضاياها والتنازل عن فردا نية لإنقاذ أمة يعتقد البعض أنه مهددة بالانقراض، لهذا نجد أن بن نبي ينبه إلى أن تماسك النظام الاجتماعي يقتضي الحد من حريات الأفراد لأن الحرية المطلقة للفرد داخل المجتمع ستؤدي إلى الفوضى بسبب اصطدام الجهود الفردية ببعضها، لهذا في أداة هدم بدلا من أن تكون أداة للمنافسة والإبداع يقول بن نبي"...**ولكن حرية الإنسان لا يمكنها أن تكون مطلقة إلا مقابل فوضى غير متلائمة مع جميع ضرورات التنظيم الاجتماعي والنظام العام لأن**"**قطيعة بين الفرد والمجتمع هي قطيعة بين الفكر ومقاييس النشاط، لأن البناء الحضاري إرادة اجتماعية قائمة على تواصلية وتناسقية بين الفرد والمجتمع**"[3]، لأنه في كل الأحوال أن إرادة وقدرة الفرد تنبعان من المجتمع، ولأنه هو الذي يحدد مصيره إما من خلال توفير له جميع الضمانات الضرورية التي تعمل على صقل

---

[1] _حمود سعيدي ، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي ، الموافقات، مجلة جامعية تعنى بالبحوث و الدراسات الإسلامية ، تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين ، الجزائر ، العدد3 ، جوان 1994 ، ص 334

[2] _أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دار النفائس، بيروت، الطبعة2، 1986،ص 161 .

[3] _المرجع السابق،ص 341 .

مواهبه وتحقيق طموحاته، أو حرمانه منها، وهذا الجتمع الذي نتحدث عنه فهو ليس كما من الأفراد، وإنما هو بناء متكامل تربط أفراده روابط مقدسة حيث يقول"**المجتمع الذي يقوم بوظيفة التاريخية، المجتمع الذي يقوم بوظيفة نحو الفرد وتحقق راحة الفرد، فإنه لابد أن نفهم معناها فهما دقيقا، فهو ليس عددا من الأفراد، وإنما هو شيء خاص، وليس تكديسا من الأفراد، بنيان في أشياء مقدسة متفق عليها**"[1]وهذه الأشياء المقدسة بالنسبة له هي المبادئ الأخلاقية الذي يعطي مثال الزواج عنها ليؤكد قدسيتها إذ يقول"**أن الأخلاق شرط لتنظيم العلاقات الاجتماعية بما يلاءم المصلحة العامة، والأخلاق إضافة للبعد النفعي بعد روحي وهو الدين الذي يهذب ويوظف الدافع الغريزي للتجمع في بوتقة ما يسمى الروح الخلقية، فإنه بذلك يحقق وظيفة الربط التي هي أساس التقدم الاجتماعي**"[2]ويعتبر الدين هو مصدر القانون الأخلاقي"**لأن الوعي الخلقي ظاهرة ذاتية باطنية، لتستمد وجودها من رقابة خارج، النفس أو الذات، ولذا كان الوعي الخلقي يستند إلى الجانب الديني لما في طبيعة العنصر الديني من قدرة للرقابة الباطنية على الذات**"مما يفصح أن أساس تماسك العلاقة الاجتماعية هو"**الإيمان الذي يولد الاندفاع والحركة التي تتجسد في فعل اجتماعي، بحيث تعدو كل علاقة غيبية، وقد تجسدت في علاقة الإجتماعية**"[3]، وهذا يتجسد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يستند بعضه**

---

[1]_ مالك بن نبي ، تأملات ، المصدر السابق، ص175 .

[2]_ عبد اللطيف عبادة ، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة 1، 2006، ص60 .

3_نورة خالد السعد ، التغيير الإجتماعي في فكر مالك بن نبي ، المرجع السابق، ص110 .

بعضا"وعكس صحيح أن ضعف الإيمان يمزق العلاقات ويرخي حبل التواصل ويوسع الهوة بين الأفراد في المجتمع.

إعادة تفعيل الدور الاجتماعي للدين: كما أشرنا أنه للدين دور فاعل في تماسك العلاقات الاجتماعية، وأهمية قصوى في عملية البناء الحضاري، و الدين عند مالك بن نبي هو أساس كل مشروع تغييري، وهو يدخل إما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة في تركيب عنصر الحضارة يقول"**وهكذا يظهر لنا من جهة علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقع في تصرف "أنا" الفرد ثم توجيه هذه الطاقة تبعا لمقتضيات النشاط الخاص بهذه الأنا داخل المجتمع تبعا للنشاط المشترك الذي يؤديه المجتمع في التاريخ**"[1]، فلا تتوقف مهمة الدين إلى هذا الحد بل تتجاوزه إلى توطيد علاقة الإنسان بالوقت والتراب بحيث"**يجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية بساعات تمر، وقتا اجتماعيا مقدر بساعات عمل ومن التراب الذي يقدم بصورة فردية مطلقة من غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط في مجالات مجهزا مكيفا تكيفا فنيا يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة تبعا لظروف عملية الإنتاج**"، **ويركب بين هذه العناصر الثلاث وينقلها من مرحلة السكونية إلى مرحلة الديناميكية وهو الذي "يعطي شرارة الانطلاق لتدخل الحضارة في التاريخ ، وتحقق في عالم الإنجاز**"[1]،لأنه كل من العقيدة والحضارة تعتبران أمرين أساسين يمكن للمجتمعات المهددة بالانهيار إنقاض

---

[1]_ مالك بن نبي ، ميلاد المجتمع ، المصدر السابق، ص74 .

تصدر [1]_ بدران بن مسعودين ، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري ، أنموذج مالك بن نبي ، كتاب الأمة سلسلة دورية كل شهرين عن وزارة الوقاف الإسلامية ، قطر ، الطبعة 1، 1999، ص106 .

نفسها بهما لأن العقيدة الدينية"**هي العنصر الأول في بناء الحضارة والعناصر الأخرى كالعلم والاقتصاد وغيرها، وإنما هي خاضعة لهذا العنصر الرئيسي، فإذا فقدت سلطانها على هذه العناصر واندفعت تلك القوى إلى غاية غير واضحة، وتغلب عليها إذا تلك الأهواء التي توجهها بصورة عكسية لأسس الكيان الحضاري**"[2].وبما أن الدين الإسلامي يدعوا ويلح في دعوته على قيم مثل التسامح والإخاء، والسلم والعدل و المساواة والتعاون، والعلم والعمل والعزة، وأنه في الوقت نفسه يشدد ويرفض كل ما يتنافى مع هذه القيم الأخلاقية السامية، لهذا يجب على المسلم أن يعي الدين الإسلامي ويشعر بالمسؤولية اتجاه مصير أمته، ولا يكتفي بعبادة لأن"**العقيدة الإسلامية هي عقيدة اجتماعية، ولا بد أن نعلم العالم الإسلامي كيف يستعملها كأداة اجتماعية من جديد**"[3]لإعادة فعاليته والانطلاق منه كمرجعية ملهمة وموجهة كحركة النهضة الإسلامية المعاصرة، وإعادة تفعيلها من خلال بعث اجتماعي للعقيدة في المجتمع والخروج من مرحلة القول بأطروحات لا عمل لها إلا إعادة تصنيف الأمة بين ضال، وبدعي، وخارج من الفرق الناحية، إلى جعل الناس يوحدون الله في أعمالهم، وفي هذا الصدد يقول بن نبي:"**ليست المشكلة أن تعلم المسلم عقيدة هو يمتلكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية ، وتأثيرها الإجتماعي، وفي كلمة واحدة:أن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي نشعره**

---

[2] _ سليمان الخطيب ، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي ، دراسة في ضوء الواقع المعاصر ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،بيروت ، الطبعة 1، 1993، ص 284 .

[3] __ يوسف حسين ، نقد مالك بن للفكر السياسي الحديث ، دار التنوير ، الجزائر ، الطبعة 1، 2004، ص121 .

بوجوده، ونملأ به نفسه بإعتباره مصدرا للطاقة"[1]،وتزويد الإنسان بمنظومة فكرية سليمة وصحيحة وخالية من الأفكار الخرافية والخوارقية بحيث يقول "**الذي يزود الإنسان بآليات تحصيل هذه المعارف، والتحقق منها، والإحاطة بكيفية عمل وسبل الإستفادة منها**"[2].

بناء الإنسان الجديد غير قابل للاستعمار:

الثقافة كما حددها مالك بن نبي"هي المحيط الذي يصوغ فتشكل كيان الفرد، فتشكل من خلاله طباع الفردو شخصيته، وأول إشكالية نصطدم بها في صياغة المشروع الثقافي لأمة الإسلامية كما يرى هي إنعدام الواقع الثقافي كعامل حيوي في الكينونة الحضارية للأمة الإسلامية، فتكمن المشكلة إذن في تقديم البديل الملائم لكيان الأمة، ومن هنا تبرز ضرورة طرح المعالجة التربوية للثقافة كي تصبح كما تقول بن نبي" **نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة**" [3] وقد ركز مالك بن نبي على ضرورة بناء الفرد، إذ أن حركة التاريخ وركوده مرتبطة ارتباطا لزوما بحركة الجهاز الاجتماعي الأول المتمثل في الإنسان"**فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع و التاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ**"[1]،وليس بإمكان أي إنسان صناعة التاريخ،لأن الإنسان معادلتين:"**معادلة تمثل جوهر إنسانا صنعه من الفن كل شيء صنعه، ومعادلة ثانية تمثله كائنا اجتماعيا يصنعه**

---

[1]_ مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ،المصدر السابق، ص 48 .

[2]_ الطيب برغوث ، موقعالمسألة الثقافية من إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،دار الينابع للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة 1، ص 18 .

[3]_مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،المصدر السابق، ص 73 .

[1]_ مالك بن نبي ، تأملات، المصدر السابق، ص 129 .

المجتمع"[2] لهذا **ف**المعادلة الثانية هي التي تحمل في طياتها الإنسان المتكامل والمتوازن الذي لديه إمكانية صناعة التاريخ وهذا ما يؤكده بقوله"**فالتاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده ومثله الأعلى في حاجاته الأساسية والذي يؤدي في المجتمع رسالة المزدوجة بوصفه ممثلا وشاهدا**"[3]، ولأن الإنسان هو الأساس الحقيقي الذي يعتمد عليه كل الاعتماد في بناء الحضارة يقول"**إن حاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد–الإنسان المتحضر–الإنسان الذي يعود إلى التاريخ الذي خرجت منه حضارتنا منذ عهد بعيد، وصياغة هذا الجهاز الدقيق الذي يسمى الإنسان لا تتم بمجرد إضافة جديدة إلى معلوماته القديمة لأنه سيبقى هو قديما في عاداته الفكرية وفي مواقفه أمام المشكلات الاجتماعية في فعاليتها إزاءها** "[4]ويتضح لنا من خلال هذه المقولة أن أية محاولة للتغيير لا يمكنها أن تتحقق على أرض الواقع مالم تستطع النفاذ إلى أحاسيس الإنسان ومشاعره، فجوهر النهضة هو التجديد الذي يتم على المستوى النفسي للإنسان، أما تجديد الجانب الفكري ماهو إلا إصلاح ظاهري، وهذا ما تم التوصل إليه من قبل خبراء التنمية البشرية المعاصرين بحيث وجدوا أن الفكرة لا يمكنها أن تتحول إلى سلوك إلا بعد أن تسيطر أن تسيطر على المشاعر أو تتحول إلى إحساس، وتغيير يكون بمواجهتنا بما نمتلكه من الوسائل المتوفرة لدينا من دون إفراط أو تفريط "**أما معرفة النفس فالغاية منها أن يكتشف الإنسان إمكانياته ليحولها إلى عمل نافع، وأن يترك ما ليس من اختصاصه، وما ليس عنده كفاءة له حتى لا يكون**

---

[2]_ المصدر نفسه ، ص135 .

[3]__ مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 32 .

[4]__ مالك بن نبي ، تأملات ، المصدر السابق ، ص 135 .

العمل تخريبا بدل من أن يكون بناء"[1]، مما سبق يتأكد أن الإنسان هو جوهر التغيير، تغيير نفسه من إنسان قابل للاستعمار والاستسلام على حساب كرامته ومبادئه، إلى إنسان حر عاقل بحيث"**الحضارة كالحرية لا يمكن الحصول عليها، إلا بالإنسان المتعقل لفعله، والمدرك لوقته، المتفاعل مع التراب، المتناغم مع الطبيعة، المتعلق بالمعارف العالمية على السواء، دون أن يتحول إلى زبون يستهلك ولا ينتج"**[2].

وحينها نستطيع إدراك بأن فجر النهضة والتغيير سينبعث من تلك الثورة الداخلية التي تندلع في أعماق الفرد، وتقضي على عقدة المرونة ومختلف ميكروبات الشلل والخمول، كما أن تحريك الوجدان يزيد في حدة التوتر الذي يدفع إلى العمل المضاعف خصوصا إذا كان هناك تعلق بغايات كبرى في وجودنا لأن الثورة الداخلية في الفرد هي التي تساهم في التغيير"**وليس ينجو شعب من الاستعمار وأجناده، إلا إذا نجت نفسية من أن تتسع لذل مستعمر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهله للاستعمار، ولا يذهب كابوسه من الشعب كما يتصور بعضهم بكلمات أدبية أو خطابية، وإنما بتحول نفسي، يصبح معه الفرد شيئا فشيئا قادرا على القيام بوظيفة الاجتماعية جديرا بأن يحترم كرامته، وحينئذ يرتبط عنه طابع القابلية للاستعمار، وبالتالي لن تقبل حكومة استعمارية تنهب ماله وتمتص دمه، فإنه بتغير نفسه قد غير وضع حاكميه تلقائيا إلى الوضع الذي يرتضيه"**[1].

---

[1] _مالك بن نبي ، تأملات ، المصدر السابق ، ص 135 .

ص11[2]_ عبد القادر بوعرفة، الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي ، دار الغرب ، الجزائر ، دون طبعة ،دون سنة،

[1]_ مالك بن نبي ، شروط النهضة ، المصدر السابق ، ص33 .

لأجل هذا نجد بن نبي يلح ويكرر في أكثر من مناسبة على أن التحرر الفعلي من هيمنة الاستعمار مهما كان شكله قديما أم جديد لا يتحقق إلا إذا اجتثت أصوله من أعماق أنفسنا أولا، فيقول"**إن هناك نتيجة منطقية وعملية تفرض نفسها، وهي إنه لكي نتحرر من أثر هو الاستعمار يجب أن نتحرر أولا من سببه هو القابلية للاستعمار**"[2]. لذا يجب الاعتقاد بأن بناء الإنسان قد تم بمجرد تصفية من القابلية للاستعمار، بل يجب المتابعة من خلال تصفيته من التلوث الذي لحقه نتيجة جرائم الاستعمار ومخططاته العلمية ذات الأبعاد النفسية والاجتماعية"**فأينما حل الاستعمار كان يلوث الإنسان حتى أصبحت تصفيته من رواسب الاستعمار أهم عامل ثوري في الثورة**"[3].

تحقيق الفاعلية: يقصد به "**قدرة الإنسان على استعمال وسائله الأولية واستخراج أقصى ما يمكن أن يستخرج منها من النتائج**"[1]أما **مالك بن نبي** فيعرفها بأنها" **حركة الإنسان في صناعة التاريخ إذا ترك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ**"[2]، وهذا يدل عند "**مالك بن نبي**" " **أول درجة في سلم القيم وهذا المبدأ من أحوج الأمور بالنسبة إلينا**" [3]

كما أشرنا في العنصر الأول مشكلة الثقافة بأن المجتمع الإسلامي المعاصر يعاني من فقدان الفاعلية في حياته اليومية و استمرارها يعود إلى غفلتنا عن علاج الإنسان المريض والقابل للاستعمار، وتعملنا مع الأحداث والأزمات بلغة العاطفة لا بلغة الفعالية هو الذي

---

[2] – مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، المصدر السابق، ص59

[3] _ المصدر نفسه ، ص 52.

[1]_ سعيد جودت ، الإنسان كلا وعدلا، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة 1، 1993، ص 17 .

[2]__ مالك بن نبي ، تأملات، المصدر السابق، ص129 .

[3]_مالك بن نبي ،وجهة العالم الإسلامي ،ص 166.

ضخم مشكلاتنا وجعلها تتراكم ولعلاجها يجب توظيف شروط تحقق الفعالية التي يمثل أولها: استعمال القدرات الذاتية التي يمتلكها الإنسان، وتوظيفها للسيطرة على ذاته والطبيعة والزمن لأنها العناصر الموجودة والموضوعة تحت تصرفه متى شاء، بحيث يقول "**التراب هو عماد حياته المادية، لأنه يعيش على ثمرته في أي ظرف كان، والوقت رهن مشيئة لا ينازعه فيه أحد، ولديه من العبقرية ما يعينه على التصرف فيهما، فهو على هذا يتصرف تماما في الشروط الضرورية التي تتيح له أن يحصل على وسائل أقوى**"[4]. وهو يحفزنا على أن ننطلق في العمل بالاعتماد على قدراتنا الذاتية والإمكانات المتاحة لنا ولا ننتظر ساعة المعجزات كما يتوهم بعض الفاشلين منا، أو ساعة التي ستتوفر فيها جميع الإمكانات و التي قد لا تأتي ما دمنا ننظر ولا نعمل.

ومن شروط تحقيق الفعالية –أيضا –هي إعادة النظر في فهمنا لمعنى التاريخ وعلاقته بالسلوك الإنساني وتحديد مسؤوليتنا التاريخية بعد فهم القوانين والسنن التي تتحكم في ضرورة الحياة الاجتماعية .

أما أهم شرط من شروط تحقيق الفعالية هو ربط الفكرة بالواقع والعمل حيث يقول"**يجب أن ندرك أن كل فكرة نستودعها في التربة، لابد أن يأتي اليوم الذي تنمو فيه، وتغذينا من ثمارها، أي أن كل فكرة نستطيع أن نوصلها إلى الضمير الإنساني يجب أن نطمئن على عدم صياغتها وفنائها، بل إنها ستخط طريقها بهدوء في مجرى البنية الثقافية للمجتمع لتتطور شيئا فشيئا، ولا تلبث أن تتحول إلى واقع مجسد إن هي وجدت الأرضية الملائمة**

---

[4] _المصدر نفسه،ص68 .

لانتشارها أو اللحظة التاريخية التي تدفع بها إلى الواقع"[1]، بحيث نربط العلم النظري والعمل التطبيقي إذ يجب أن تكون الجهود المبذولة في طلب العلم مرتبط بغايات عملية معبرة عن متطلبات الواقع المعيشي لنجعل من العلم والمعرفة آلة ووسيلة للنهوض والتحضر. "**فالعلم الذي لا يترجمه عمل [كما يقول]يظل ترفا لا مكان له في وطن مازال فقيرا في الوسائل والأطر، ففي هذه المرحلة بالذات لابد للاهتمامات أن مركزة في البلاد الإسلامية حول مفهوم الفعالية، وعلى الخصوص في مجال التسيير ووسائله"**[1].

وهذا يعني تجاوز الحرفية في الثقافة والتشدق بالألفاظ والعبارات العذبة الخالية من المضمون العملي من خلال السعي للربط بين الفكر والعمل، ومالك بن نبي يدعوا إلى أن يكون الفكر مرتبطا بالعمل الميداني لأن الأفكار والنظريات تستمد قيمتها من نجاحها في توجيه الحياة العامة، ولهذا قال:"**لابد لي هنا أن أدعو شبابنا لنثقف لأن تكون كل محاولة في أذهانهم تهدف إلى تطبيق عملي**"[2]وكذا تهدف إلى تأثير على الثالوث الاجتماعي، الأشخاص، والأفكار والأشياء. ونجد بن نبي يلح كثيرا على الربط بين الفعل ونتيجة المادية المتمثلة في العمل بمعنى أن أي نشاط فكري يجب أن يكون هادفا للتجسيد على أرض الواقع، وبجدر الإشارة إلى أن هذا الطرح له تأصيله الشرعي إن لم نقل مصدره الأساسي هو الإسلام لأن اقتران الأفكار بالتطبيق وتحويل الأقوال إلى أعمال هي مفاهيم أساسية في صريح نصوص الإسلام بحيث جاء في الكتاب العزيز" **يأيها الذين أمنوا لم تقولون مالا**

---

[1] _المصدر السابق، ص 160 .

[1] __ مالك بن نبي ، تأملات ، المصدر السابق ، ص 39 .

[2] _المصدر نفسه،ص25 .

تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقووا ما لا تفعلون"[3]، ومعنى هذا الارتقاء بالسلوك الإنساني، حيت تكون أعماله وأقواله تبتغي رضاء الله سرا وعلنا، أي تطابق المعارف مع السلوكيات، ولا يكون ذلك إلا من خلال إرساء المنطق العملي والفعالية في الفرد والجماعة والأمة بأجمعها، وهذا لأن الإسلام يدعو في فلسفته العامة إلى الإتقان والنظافة والجد والإبداع والسلوك الراقي، والجميل والرفيع من الأشياء، والاجتهاد والتجديد والتخلص من عقد النقص،وهذا ما ذكره مالك بن نبي في عناصر الثقافة التي سوف نتطرق لها في المبحث الثاني.

ويمكن إجمال فكرة عامة حول عنصر الفعالية لأنها من العناصر المهمة عند الإنسان وتلعب دورا فعالا في حياته، ويمكن إرجاع الفعالية إلى وسائل التفكير بحيث تشمل سائل مرافق الحياة، ويبقى الفرد هو الحقل الأول للفعالية باعتبارها عامل أساسي في البناء الحضاري والاجتماعي كما أنه يمد الجماعة بالفعالية ويستمد منها بدوره فعالية ويقول مالك بن نبي" حين نحلل الطاقات الاجتماعية بصفة عامة "نجد أنها تتضمن أولا وقبل كل شيء الفرد كأداة وهدف، فالطاقات الاجتماعية تنتج عن الفرد وتعود إليه في صورة ضمانات اجتماعية تكفل له توجيه طاقاته الفردية.

ويمكن اعتبار صلاح العقيدة وتحريكها مرحلة من مراحل بناء الإنسان الفاعل وكما توجد أفكار السلبية التي لا تقبل التغيير والتي تعرقل مسيرة النمو والتقدم في البناء الحضاري والاجتماعي.

---

[3] سورة الصف:2و 3

وإن رد الفعالية إلى عقيدته تكون بدعوته إلى العمل والعلم، والالتزام بالأخلاق وبصفة وصورة أعم تعمل من أجل تغيير نفسه لأن تغيير الوسط الاجتماعي يتطلب ذلك، لأن إصلاح عقيدة الفرد مرحلة بناء الفكر الفاعل وترتبط بها الفعالية الاجتماعية للأفكار التي تحيل النشاط المشترك بفعل العلاقات الاجتماعية، لذا قال مالك بن نبي"**إن التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها، وإنما بفتح دروب جديدة**"[1].

الواقعية والإبداع لتجاوز التقليدي:

هو من أهم آليات التي حددها مالك بن نبي واعتبرها أهم عامل لفض مشكلة التي وقعت فيها الثقافة ،وقلنا الواقعية لأننا نجد جل الباحثين والمفكرين العرب الذين بنو مشاريع جمة لإصلاح الوضع إما يقفون بين جانبين : جانب العناصر التقليدية الممتدة بجذورها إلى إنسان ما قبل الموحدين أي الأصالة، وجانب العناصر المستحدثة المستعارة من المجتمعات المعاصرة له والأكثر تحضرا منه، وهذا ما يسميه مالك بن نبي التكديس ظاهرة غريبة عن حياة المجتمعات، ولكنها تظهر في مراحل الانحطاط وليست أثناء محاولات اليقظة والسير في طريق النهضة مثلما هو حال مجتمعنا الإسلامي. بحيث نجد في باحثينا من ينادي إلى الأصالة المفرطة أو المعاصرة العمياء"**لأنه إذا حللنا جهوده وجدنا فيه حسن النية ولكننا لا نجد فيها رائحة منهج** "[2]وهذا إن صح التعبير غير صحيح لأن المجتمع العربي ظروفه

---

[1] _ مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 220 .

[2] _ زوهير عبد السلام، عيسى بن حدوش، الثقافة في الرؤية الوجودية التوحيدية، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر، العدد7، جوان 2012، ص 68 .

وأرضيته غير أرضية كل من المجتمعين الذين اعتبارهما مثال يحتذي به، لأن تقدم المجتمع ما هو إلا حصيلة الجهود المتكاملة لأفراده والمعبرة فعلا عن متطلبات واقعهم والمجيبة عن أسئلة حاضرهم لذا يقول مالك بن نبي" **تقتضي عند التطبيق عناصر مكملة لا تأتي معها، ولا يمكن أن تأتي معها، لأنه لا يمكن حصرها ولا يمكن فصلها عن المحيط الاجتماعي في بلادنا، أي لا يمكن فصلها عن روحها التي تخيلاتها**"[1]و النظر إلى مشكلاتنا ومختلف التحديات التي تواجهنا، لهذا وجب تزويد العقل المسلم بمنهج سليم يجعله يضع برامجه ويحل مشكلاته ويؤدي عمله وفق منهج قويم سليم ، فهو المدخل المفتاحي للبناء الرسالي، يقول بن نبي:"**إن من الممكن أن تؤدي الحلول الجزئية إلى حل شامل للمشكلة ... ولكن الطريق غير المنهجي هو أطول الطرق بلا شك طريق المفاجآت التي تفجأ العقل التائه، طريق السائح غير المتحقق من وجهته أو هدفه ....**" [2]فبناء المنظومة المنهجية مدخل لا محيد عنه في بناء العالم الثقافي.

[1] _مالك بن نبي ،ميلاد المجتمع، ص103 .
[2] _مالك بن نبي ،فكرةالأفريقية الآسيوية،في ضوء مؤتمر باندونغ، دار الفكر، سوريا، الطبعة1،1985،ص80,

المبحث الثاني:
تأسيس نظرية الثقافة عند مالك بن نبي

تأسيس نظرية الثقافة:

لقد اعتبرت الثقافة منذ القدم كدراسة للمجتمعات البدائية وخاصة عند علماء الأنتروبولوجيا وعلماء الاجتماع نسبة للارتباط الوثيق بين الإنسان والثقافة أو الثقافة والمجتمع ككل فالمسألة الثقافية هي تلخيص لتجربة الأمة والمجتمع، من حيث وعيها بذاتها ومحيطها فهي النافذة التي يطل المرء من خلالها على العالم وأحداثه وتطوراته، من هنا نجد تعارف مختلفة الثقافة، **فكلمة:** الثقافة هي في آن معا أوسع بكثير وأضيق بكثير من أن تكون ذات،تلك هي النتيجة التي يصعب ألا يصل إليها كل من يبحث في هذا الأمر لأن كلمة(culture) الثقافة هي واحدة من الكلمات أشد التعقيد في اللغات الأجنبية، لهذا فقد

اختلف معنى الثقافة وتطور منذ عرفه الناس، "**فأول من استخدم اللفظ هم الألمان فقالوا (kulture) وقالوا إنها هي الحضارة، وقد أخذوا اللفظ من اللاتينية (culture) ويراد بها إصلاح الشيء وتهذيبه، أما في الأدب اللاتيني المسيحي في معنى تهذيب الروح (an inculture) وفي معنى التهذيب الرباني أما شيشرون استعملها بالمعنى المجازي داعيا للفلسفة mentis (cultur)أي تهذيب العقل وتنميته**".[1]

أما في عصر النهضة الأوربية أي أوائل العصور الحديثة بدأت تستعمل في الإنكليزية والفرنسية بمدلولها المادي والعقلي ، مع إضافة الشيء المقصود تنمية la culture du blé (la culture des bettes)ومثلها في الإنكليزية، وغدت (culture) بهذا المعنى المطلق تدل على تنمية العقل والذوق، ثم انتقلت إلى حصيلة هذه العملية أي إلى المكاسب العقلية والأدبية والذوقية التي نعبر عنها بالعربية بلفظة ثقافة، ثم أخذ معناها يتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع و المؤرخين"[1]

أما تعريف الثقافة عند علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا، فيعرفها"إدوارد تايلور"ر في كتابه "الثقافة البدائية" "**هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة، والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وعبر ذلك من المقدرات والعادات التي يكسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع** "[2].

1_أمينة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وتونبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون طبعة ،ص21 .

[1]– المرجع نفسه، ص21.

[2] _E.B.Taylor ,Primitive culture(london,1871 ,vol,1 ,P1 .

أما تعريف ريموند وليلمز في كتابه "الثقافة والمجتمع" "**قدم أربعة معان متميزة هي للثقافة، هي الثقافة بوصفاها طبعا عقليا فرديا، والثقافة بوصفها حالة من التطور الفكري الذي يصيب مجتمعا كاملا ، والثقافة بوصفها الفنون والثقافة ، بوصفها طريقة حياة كلية لمجموعة من البشر**"[3]

أما الثقافة في العالم العربي فهي تعتبر مشكلة بحد ذاتها ، وهذا على حسب مالك بن نبي بقوله " **ليس في مقدورنا اليوم أن نعالج موضوعا كهذا ، دون أن نجد أنفسنا – في حالة التطور الراهنة في العالم العربي– أمام مشكلة لغوية وتاريخية** "[1] ، وقد صدق بقوله لأنه نجد أن الثقافة كلمة عربية كانت معروفة عند العرب ما قبل ظهور الإسلام وما بعد ظهوره ومتداولة في اللسان العربي الفصيح، وقد تطرقت إليها معظم وأشهر معاجم اللغة العربية القديمة والحديثة، لكنها ظلت على الحال الذي كانت عليه مجرد كلمة لغوية بحيث نجدها أن مادة هذا المفهوم "ثقف" تدور على المعاني التالية :الحذاقة، الفهم،الفطنة، سرعة التعلم، العثور والظفر بالشيء ضبط وقام به أو ظفر به وكذلك تعني: فطن ذكي ثابت بما يحتاج إليه، وتعني: تهذيب وتشذيب وتقويم، وتسوية من بعد اعوجاج .

ويقول الزبيدي:"**وثقافة: مصدر ثقف: صار حاذقا خفيفا، فطنا فهما، وينتقل عن ابن السكيت[قوله] رجل ثقف...إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به، [و هو عنده أيضا بمعنى**

---

[3]_Raymond williams , culture and society(leicester,1993) , p16.

[1]_ مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،المصدر السابق ص19

]:حذر وحذرا وفطن"[2] في لسان العرب لابن منظور فقد أورد مفهوما مؤصلا من السنة، وهو ليس بعيد عن التعريفين السابقين، فقال" **ثقف :ثقف الشيء ثقفا وثقافا وتقوفة: حذقه، رجل ثقف وثقف: حاذق فهيم...ورجل ثقيف... بين لثقافة**"[3]، وفي حديث الهجرة هو" **شاب لقن ثقف**"[4]بحيث نجد في هذه النصوص التكرار، بالرغم من أن كلمة الثقافة ومشتقاتها من الكلمات وردت كثيرا في القرآن الكريم ، ونجد أول آية وردت فيها كلمة ثقف في سورة البقرة "**واقتلوهم حيث ثقفتموهم** "[1]حيث كانت هذه أول التفاتة "**لفضل الحسن الطبرسي**" في تفسيره الشهير"مجمع البيان في تفسير القرآن" حيث قال "**ثقفته أثقفه ثقفا وثقافة أي وجدته ومنهم قولهم رجل ثقف لقف أي يجد ما يطلبه، وثقف الرجل ثقافة فهو ثقف وثقف ثقفا بالتحريك ،فهو ثقف إذا كان سريع التعلم، والثقاف جديدة تقوّم بها الرماح المعوجة والتثقيف القويم**"[2]

أما تعريفها اصطلاحا: "**هي المحتوى العقدي والمعرفي والمنهجي والاجتماعي المتكامل .. الذي يؤسس وعي الإنسان ب(دوربه الوجودية) أولا وبـ: (ميزاته التسخيرية) ثانيا، ويمنحه القدرات المنهجية أو الفنية المتجددة، التي تنظم عمليات تكيفه الذاتي والاجتماعي والحضاري والكوني .. مع وظيفته الوجودية ثالثا: عبر نوعية وحجم العلاقة الاستثماري**

---

[2] _مرتضي الزبيدي ، تاج العروس ، دار صادر ، بيروت ، دون طبعة ، مادة :ثقف ، ج6، ص 52 .

[3] _ ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، دون طبعة ، 1988، مادة:ثقف ،ج1، ص ص 364، 365

[4] _ البخاري ،الجامع الصحيح الحديثان ، 3616 و5360 .

[1] _ البقرة :191

[2] _الفضل بن الحسن الطبرسي،معجم البيانفي تفسير القرآن، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت،دون طبعة،1968،ص369.

الوظيفية التي يقيمها مع (ميزاته التسخيرية) في عوالم الآفاق وعوالم الأنفس، وعوالم الهداية، وعوالم التأييد، لمواجهة تحديات الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد، المهيمنة على الصيرورة الإستخلافية للبشر باستمرار"[3].

بهذا التعريف الشامل للثقافة، والذي يجمع بين النقاط التي وضعها أهل اللغة، من حيث مفهومها يمكن أن نذكر تعريفا أقل شمولا ولكنه أدق معنى، يقول فيه صاحبه عن الثقافة أنها"**نظرية في المعرفة ومنهجا في السلوك، ومنهجية في العمل والبناء**".[1]

إن دل على شيء إنما يدل على أن المعاني والدلالات اللغوية التي تحددت في معاجم اللغة العربية لكلمة الثقافة ظلت جامدة وساكنة، ولم تبرح مجال اختصاصها، وهذا لأن اللغة لم يكن بإمكانها الارتقاء بالكلمات إلى مرحلة المفهوم، لأنه كما عرضنا من قبل وجدنا أن معناه يرتبط بدلالات ثقافية واجتماعية وتربوية، ومن جانب آخر وكما وصفها مالك بن نبي أنه من ابتكار العبقرية الأوربية، وهي فكرة حديثة جاءتنا من أوربا والكلمة التي أطلقت عليها هي نفسها صورة حقيقية للعبقرية الأوربية، فمفهوم الثقافة ثمرة من ثمار عصر النهضة، عندما شهدت أوربا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الكليلة في الفن والأدب والفكر، وهذا ما ساعدنا على التعرف على هذا المفهوم، لأنه وصل إلينا جديدا علينا لافتا ومميزا في نفس الوقت، ولم نكن على دراية وخبرة به وبطرائق فهمه وتعامل معه، وهذا

---

[3]_الطيب برغوث،الفعالية و الثقافة السنينية،المرجع السابق،ص31 .

[1]_الطيب برغوث،موقع المسألة الثقافية من أستراتيجيةالتجديد الحضاري عند مالك بن نبي، المرجع السابق،ص 14 .

ما أدخلنا في مشكل آخر هو الأخذ به كما وصل إلينا، مما يجعلنا في حالة من التبعية والتقاعس التي لا تتيح لنا حوافز وإمكانيات الإبداع و الاكتشافات.

وكما هو ملاحظ أنه لا يمكن تناول مشكلة الثقافة في العالم العربي، وعلى مستوى الفكر الإسلامي من دون التطرق له ولأفكاره وإسهاماته التي استطاع أن يبلور بها نظريته في الثقافة، التي قام بتعريف بها من خلال كتاباته وأبحاثه التي أدرجها تحت إطار عام هو"مشكلات الحضارة"، وذلك راجع للعلاقة الوطيدة التي لأتقبل الانفصام فيما بين"الحضارة والثقافة"، وكما رأينا في البداية أنه كل من الفلاسفة والباحثين قد قدموا تعريف واضح للثقافة، غير أن مالك بن نبي لم يقدم تعريف مدرسي لها، فقد عالج مشكلة الثقافة من ناحيتين، أطلق على الناحية الأولى تسمية التحليل النفسي للثقافة، وعلى الناحية الثانية تسمية التركيب النفسي للثقافة .

التحليل النفسي للثقافة :

كما ذكرنا من قبل أنه حاول تتبع وبصورة سريعة وعامة بعض الملامح التاريخية التي ساهمت في تكوين مفهوم الثقافة، وأصلها وكيفيه استخدامها في اللغة العربية ؟ وهل تغير استعمالها من الاستخدام الأوربي عن المفهوم العربي؟.

وعموما فقد كان التحليل التاريخي للثقافة مجرد مدخل تمهيدي لتأكيد حقيقة جوهرية خاصة بالعرب أن فكرة الثقافة لها نوعيتها وطبيعتها في كل مجتمع، بالشكل الذي يمنع إستراد الحلول من مجتمع آخر لأن تاريخه وظروفه لا تسمح بذلك" **لأنه يرى من المخاطرة اقتباس**

حل أمريكي أو حل ماركسي، كما هو ونطبقه على مشكلة تواجهنا في العالم العربي الإسلامي، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها، أو تختلف اتجاهاتها وأهدافها"[1]، وهذه الفكرة لا يرجعها مالك بن نبي إلى اعتبارات دينية أو سياسية، بل هي مستوحاة من صلب المجتمع ومن أفكار فنية خالصة وهذا بقوله:"**ليس معنى هذه الملاحظة قائما على اعتبارات دينية أو سياسية، بل هي قائمة على اعتبارات فنية خالصة**"[2].وهذا كله فقط يؤكد هو على فكرة التمايز والاستقلال الثقافي من خلال مناقشته لمختلف الأفكار وتصورات سواء كانت الفرنسية أو الماركسية، ونقدها واعتبرها ناقصة ليس في حد ذاتها، وغنما لأنه يرى أنه لا تصلح للمجتمعات العربية الإسلامية لظروف نفسية، زمنية، اجتماعية...الخ ، لما يدلل على صحة ذلك قوله:"**لاشك أن فيما عرضناهم أراء مختلفة إشارات ثمينة، ولكن هذه الإشارة على الرغم من أنها لا تقدر بثمن، وليست في الحقيقة حلا لمشاكلنا، فإن للمشكلات الاجتماعية نوعيتها التاريخية، وهذا يعني أن ما يصلح لمجتمع معين في مرحلة معينة من تاريخه، قد تنعدم فائدته تماما بالنسبة له في مرحلة أخرى**"،[3] لأن مالك بن نبي وجد أن هذه التعريفات النظرية خاصة بهم لم يتم إنتاجها من قبلهم إلا بعد دراسات عملية طويلة، وهذا يرى أنه لا يمكن تطبيق هذه المناهج في الدول إلا بعد إضافة إليها البعد العملي .

التركيب النفسي للثقافة:

---

[1] _المصدر نفسه ، ص 37.

[2] _المصدر نفسه ، ص139.

[3] المصدر نفسه ، ص36.

البعد العملي يعمل على تحويل مفهوم الثقافة من حيز النظرية غلى الواقع والتطبيق، بحيث تصيح الثقافة أكثرا اتصالا بالمجتمع من الناحيتين التاريخية و التربوية، بحيث لا يمكن أن نتصور– كما يقول– " **تاريخا بلا ثقافة ، والشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه، والثقافة بهذا المعنى في اتصالها بالتاريخ هي في نظر ابن نبي تلك الكتلة بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة** "[1].

أما معنى الثقافة في التربية فهو مرتبط بوسائل التطبيق للوصول إلى الهدف، بحيث إن التربية والثقافة توأمان متدخلان لا ينفصلان"**فهما يشتملان كل ماله مدخل في تكوين الإنسان من حيث فكره وروحه وعواطفه وأحاسيسه ومهاراته العملية وساءر ملكاته**"[2].

فمن الناحية العملية يصعب جدا الفصل بين التربية والثقافة، "لا بل من المهم القول بأنه لإنجاح لعملية تربوية، إن لم تكن مستمدة من الواقع الثقافي للمجتمع الذي تستهدف العمل فيه، فالإنسان كائن من كان، ومهما كانت قدراته الموروثة سيكون للمحيط الأثر البارز في نموه الجسدي العقلي، وفي توجيه سلوكه وخلقه وفي إفساح المجال لظهور عبقريته أو قتلها في مهدها، "**والثقافة في الواقع مسؤولة عن التربية بكل وجوهها وبالنسبة لكل إنسان، وبذلك يكون الالتزام من التربية بقواعد الثقافة النابعة من الأرضية الفكرية**

---

[1]_ المصدر نفسه، ص 87.

[2] _عبد المجيد النجار، الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة1،السنة1999، ص289 .

للمجتمع هو طريق النجاح في بناء الإنسان، وتغيير ذاته"[1]، فالثقافة "**باعتبارها مصدرا لوجوده السلوك ليست مقصورة على صنف اجتماعي معين، ولكنها تشمل جميع الطبقات الاجتماعية، فالبيئة تعد إذن بمثابة الرحم بالنسبة إلى القيم الثقافية... فهي بيئة تمارس مفعولها على الراعي وعلى العالم سواء، وهي الوسط الذي يتشكل داخله الكيان النفسي للفرد بنفس الصورة التي يتم بها تشكل كيانه العضوي داخل المجال الجوي الحيوي الذي ينظمه"**[2]

عناصر الثقافة:

أن الثقافة ليست مصطلحا مطاطيا، وإنما هي نظرية شاملة تعبر عن روح وفلسفة المجتمع الحضارية،"**وهذه الثقافة التي تشكل طباع الإنسان، وتصبغ شخصيته بصبغة متميزة، وتزوده بنظرية في المعرفة، ومنهج في السلوك، ومنهجية في العمل والبناء..."**[3] الثقافة حسب بن نبي هي تركيب عام لتراكيب جزئية أربعة: الأخلاق، الجمال، المنطق العملي، الصناعة، وهي مترابطة ومتكاملة، وهذه العناصر هي التي تضفي البعد العملي والتربوي عليها وهي كالآتي:

"**المبدأ الأخلاقي:** تحدث عنه مالك بن نبي من الناحية الاجتماعية وليس من الناحية الفلسفية، لأن الوظيفة الأساسية التي تقوم على البناء الثقافة هي تنحصر في ربط أفراد

---

[1] _اسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفائس، بيروت، الطبعة 2، السنة1986، ص 219 .

[2] _ مالك بن نبي ، أفاق جزائرية ، ترجمة الطيب شريف ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ،دون طبعة ، دون تاريخ، ص ص124، 125 .

[3] _ سامية السعاتي ، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية ، القاهرة، الطبعة 2، السنة1983، ص 33 .

المجتمع يبعضهم البعض بأواصر المحبة والتعايش والتعاون طبقا لما يؤكده سبحانه وتعالى " **وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**"[1].

الذوق الجمالي :

إذا كان دور عنصر الأخلاق ينحصر في تحديد شكل السلوك الإنساني فإن عنصر الجمال يجدد أسلوب الحياة في المجتمع، ويتفق فلاسفة الأخلاق على أنه لا يمكن تصور الخير منفصلا عن الجمال، كما أن مالك بن نبي "**يرى أن الأفكار تنسج عليه الأعمال وهي تتولد من الصور الحسية الموجودة في الإطار الإجتماعي، وتنعكس في نفس من يعيش فيه، وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره، فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان وأصوات و روائح وحركات وأشكال، ويوحي للإنسان بأفكاره، ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل أو المسامحة المستهجنة**"[1] فالجمال إذن هو المنهج الذي تصدر عنه الأفكار، وفي ضوء تلك الأفكار تصدر أعمال الفرد في المجتمع .

وعليه كما تعد الأخلاق الأساس الدينامكي أو الدافع الأول للفعل، فأن عنصر الجمال هو الأساس النوعي أو التقييص الذي يشكل قيمة الفعل، غير أن أسلوب الحياة لا يحدد بهذين العنصرين الساكنين فحسب .

---

[1] _ الأنفال :63 .

[1] _مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،المصدر السابق،ص 82 .

المنطق العملي: ولا يقصد به المنطق العملي الذي دونت أصوله ووضعت قواعده من قبل أرسطو، وإنما يعني كيفية ربط العقل الذي يتميز بالإرادة والانتباه بين العمل ووسائله ومقاصده .

الصناعة: يقصد بها عند مالك بن نبي هي كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، بحيث تمثل الصناعة بالنسبة للفرد مجرد وسيلة لكسب العيش، فإنها بالنسبة للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، وهذا هو العامل الذي جعل مالك بن نبي يصنفها على أنها العناصر المهمة للثقافة"[2].

وفي الأخير وبعد الدراسة الطويلة لموضوع الثقافة من قبل مالك بن نبي توصل إلى تحديد تعريف واضح لها ينبع من داخل المشاكل الخاصة بالمجتمع العربي الإسلامي، ويتعدى حدودها النظرية العلمية التي كانت قد حددت بها في المعسكرين الماركسي والرأسمالي إلى وظيفتها السلوكية العملية الاجتماعية فهي عنده" **مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه**"[1]،فتعريفه لها جمع بين فلسفة الإنسان*، وفلسفة الجماعة**.

---

[2] __ محمد محفوظ ، صحيفة الرياض اليومية الصادرة عن مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد 14176، 17أفريل2007،ص5 .

[1] __زكي الميلاد، المسألة الثقافية،من أجل بناء نظرية في الثقافة،المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة1،2005،ص37.

*تلك النزعة الفردية الحاكمة على الثقافة الغربية ، والمؤثرة في تكوين رؤيتهم للثقافة ، ففي العرب كما يقول إبن

وكما قلنا في الأول أنه يوجد خلط وتركيب وفصل بين استخدام مفهومي"الثقافة والحضارة" في نفس الوضع، وهذا نجده في اللسان الفرنسي بحيث يقول (norbert elias):" **كانت الحضارة تستخدم بنفس معنى الثقافة ولكن منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حازت على نجاح لم تكن الثقافة (culture) قد حظيت به بعد، باعتبار فوز"الحضارة" بسبق الشهرة ضمن معجم المفكرين الفرنسيين**"[2]، وهذا على عكس مفهوم الثقافة (kultur) الألماني الذي كان ينزع أكثر فأكثر، منذ القرن التاسع عشر، إلى تحديد التباينات القومية وتثبيتها .كان الأمر يتعلق إذا بمفهوم تخصيصي يتعارض والمفهوم الفرنسي "حضارة" الكوني، والمعبر عن أمة تبدو أنها قد اكتسبت وحدتها القومية من أمد بعيد.

أما بالنسبة لمالك بن نبي فلم يكن هذا الخلط والفصل بل كانت تربط بينهما علاقة تكامل بحيث نجد أنه إهتم بها كما فعل مع مفهوم الثقافة، حيث نجده يحاول الإجابة على السؤال الآتي ما هي الحضارة؟ بكل تريث و أناة وتبصر لأنه يعلم أن الحضارة لا تعرف تعرفا واحدا وموحدا، لكنه تناول الحضارة من جهات تركيبها وتكوينها ووظيفتها وتطورها تاريخيا واجتماعيا كما كان شأن نظريته في الثقافة، وكان بن نبي يرفضان ينظر إلى الحضارة من وجهة نظر أنتربولوجيا، ويفضل تناولها من وجهة نظر وظيفية قائلا عنها"**أن**

يعرفون الثقافة على أنها تراث الإنسانيات الإغريقية اللاتينية، بمعنى أن مشكلتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان والثقافة في رأيهم هي فلسفة الإنسان.

في البلاد الثقافة **تلك النزعة الاجتماعية الحاكمة على الثقافة الاشتراكية والمؤثرة في تكوين رؤيتهم للثقافة، ولهذا يعرفون الاشتراكية كما يقول ابن نبي "على أنها علاقة وظيفية بالجماعة ، الثقافة في رأيهم هي فلسفة المجتمع

[2] ـــ تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، ترجمة ثائر ديب ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، سوريا ، 2000، ص 81

الحضارة هي الشروط اللازمة لأي اجتماع حضري مستقر، وهي حصانة لحياة الإنسان، وفيها تأمين على مصيره وتوفير لاحتياجاته، وحفاظ على شخصيته الوطنية والدينية، ولهذا كان تحديد ين نبي نابع من دراسته دقيقة للواقع"فالحضارة هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تنتج لمجتمع متعين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه"[1].

وهذا التعريف يوضح الناحية الوظيفية بحيث ينظر لها من الخدمات الأخلاقية والمادية التي يتحصل عليها كل فرد في المجتمع كل حسب حاجته وبيئته ويقول بهذا الخصوص" **هي هيكل الروح والحركة الوظيفية فإذا كانت وظيفتها خدمة الإنسان ماديا ومعنويا أنها جامدة وثابتة بل هي حركة تاريخية متغيرة غايتها السير بركب التقدم نحو شكل من الأشكال الحياة الراقية، وهذا مانطلق عليه إسم الحضارة"[1].**

وكما هو معروف أن أصل الحضارة دائما هو الإنسان والتراب والوقت، لكن هذه العناصر ليس كل عنصر منها هو الحضارة بالضرورة، كما أنها ليست مجتمعة في الحضارة، فالحضارة تحتاج لمركب يركب عناصرها السالفة.

---

[1] _أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، المصدر السابق، ص 141.

الأوزاعي [1] _ عبد الملك عبد الرحمان عبد العزيز العتيق،مذكرة تخرج شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية ، كلية الإمام للدرسات الإسلامية، بيروت ،2004،ص36

ومالك بن نبي يعتبر الثقافة "**هي ذلك الدم في جسم المجتمع تغذي حضارته ويحمل أفكاره الصفوة، كما يحمل أفكاره العامة وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المتناسبة**"[2]

لهذا لا يمكن الحديث عن الحضارة دون ربطها بالثقافة، فالثقافة هي المجال الذي يبرز فيه المجتمع المتحضر، و هي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئيات تبعا للغاية العليا، التي رسمها المجتمع لنفسه، كما في ذلك الحداد والفنان والراقي والعالم و الإمام، وهذا يتركب التاريخ.

---

[2] _ فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، المؤسسة العربية للدرسات و النشر،بيروت،الطبعة2،1981 ،ص410

.

الفصل الثالث:

مقاربات في فكر مالك بن نبي

المبحث الأول :

بين مالك بن نبي و إدوارد تايلور

بين مالك بن نبي و إدوارد تايلور:

رغم الدراسات التي قام بها العرب لتحديد مفهوم الثقافة و تداعياته و باعتبار مالك بن نبي هو المؤسس الحقيقي للدراسات الثقافية العربية الإسلامية إلا أن الغرب قد سبقنا إلى تناول المشروع بتراكماته فقد أوجد مخرجا لصيغة ثقافته بعد أن أرسى قواعد نهضته ، وترسيخ مفاهيم حداثته ، فإن العرب مازالوا في مرحلة الإرهاص ، تسجل بحوثهم المحتشمة في مجال الثقافة حيرة ومزيد من طرح الأسئلة حول الإشكالية والبحث عن الأسباب وحدها للوقوف على حقائقها ، ففكرة الثقافة الحديثة جاءتنا من أوربا ، فقد أخذ هذا المفهوم عدة مناحي حسب توجهاتهم المذهبية ومن هنا حاولنا مقارنة مالك بن نبي مع بعض التصورات الغربية لمفهوم الثقافة باعتبار هذا الأخير من المفاهيم التي شكلت اختلاف بين المفكرين و الفلاسفة ، ومن هنا جاءت مقارنتنا بين مالك بن نبي و إدوارد تايلور فالأول يعتبر أول من أرسى مبادئ الثقافة الشاملة وأول من قدم تعريف إيناسي للثقافة، فهو "**يعتبر من الرواد السابقين في الأنتربولوجيا التراثية ، التي كانت سائدة في بريطانيا ، بل المؤسس لها ، وقد كان لكتابه الأبرز الثقافة البدائية(Primitive culture)(1871) الذي تظهر فيه**

آثار داروين في النشوء و الإرتقاء البيولوجي، أثر كبير في تطوير النظرية القائلة بالعلاقة الإرتقائية من الثقافات البدائية إلى الحديثة "[1] .

وقد كان تعريفه للثقافة إثنوغرافي وصفي حيث يعرفها "**...تلك الوحدة الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة و الإيمان و الفن و الأخلاق و القانون و العادات ، بالإضافة إلى أي قدرات و عادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع**"[1].

أما عند مالك بن نبي " **فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة و عبقريات متقاربة و تقاليد و أذواق متجانسة وعواطف متشابهة**"[1]، وهذا التعريف غير بعيد عن تعريف تايلور ، فرؤية مالك بن نبي محصورة بين التأثير و التأثر ، الحاصل بين العوالم الثلاث (عالم الأشياء، عالم الأفكار ، عالم الأشخاص)، وهذا التأثير هو الذي يخلق أو يحرك ثقافة في إتجاه معين ، في حين تعريف تايلور هو تعبير عن كلية حياة الأنسان الإجتماعية حيث أنها تتميز ببعدها الجمالي وهي أيضا مكتسبة فهي " **من المفاهيم الكلية وليست من المفاهيم الجزئية ... وهي أيضا من المفاهيم المركبة وليست من المفاهيم البسيطة ، فهي الكل المركب ، ومن هنا نستخلص أن الثقافة ليست علما لأنها لو كانت علما لتحددت في نطاق العلم ، و لأنها ليست علم فهي تشمل على المعرفة و العقائد و الفن و الأخلاق و القانو ن و غيرها ، وهي عملية إكتساب ، و هنا حديث عن خاصية التأثير و التأثر ، بمعنى أن الثقافة عملية إكتساب عبر وسائط التربية التعليم و التنشئة ، وعبر جميع**

طرائق التفاعل الإجتماعي "[1]،في حين نجد أن مالك بن نبي قد وضع هو الآخر تعريفا شاملا لمفهو م الثقافة " **فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة ، و الذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، وهكذا نرى أن هذا التعريف يضم بين دفتي" فلسفة الإنسان و فلسفة**

---

[1]_ كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات ، مقالات مختارة ، ترجمة :محمد بدوي، مراجعة : الأب بولس وهبة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، طبعة1 ، 2009، ص 24

[1]_ إدوارد تايلور ، الثقافة البدائية ، بحوث في تطور الأسطورة و الفلسفة و الدين و الفن و العادات، ج1 ،مواري ، لندن ، الطبعة1920،6

[1]_ مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مصدر السابق، ص 86

[1]_ أحمد أبو زيد ، محاضرات في الأنتروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دون طبعة، 1978، ص 42

الجماعة أي (معطيات)" الإنسان "و (معطيات) المجتمع ، مع أخذنا في الإعتبار ضرورة إنسجام هذه المعطيات في كيان واحد تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية ، عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات"[2]، ومن هنا الثقافة ترتبط بالمجتمع حسب تعريف كلا من الفيلسوفين ، فهي حسب إدوارد تايلور متعلقة بالفرد الذي يعد فرد في المجتمع ، ومكتسبة من المجتمع أي أنها عملية مستمدة لا نهاية لها و تحصل بوعي أو دون وعي ، وعند مالك بن نبي على أنها العنصر الأساسي في تكوين الملكة اللغوية للفرد لتحصيل متطلباته .

و بهذا فإن هذه الأخيرة بمثابة الرحم بالنسبة إلى القيم الثقافية ، فهي التعبير الحسي عن علاقة الفرد بهذا العالم أي بالمجال الروحي الذي ينمي وجوده النفسي.

فكما أن إدوارد تايلور حاول أن يجد حل للمشكلة التي يعاني منها العقل البشري وذلك عبر جسر المصالحة بين تطور الثقافة و بين عالميتها في كتابه"

" الثقافة البدائية" و قد آمن إدوارد تايلور بقدرة الإنسان على التطور ، حيث نجده يتساءل عن أصول الثقافة وعن آليات تطورها ، ومن هنا كان تصوره للثقافة تصور كوني و الإشكال الذي حاول حله هو الموائمة ، لكن مالك بن نبي حاول تشخيص المرض الذي تعاني منه الأمة العربية " **وقد حدد بعض أوجه الأزمة الثقافية في إنتقال مدلول الثقافة من الطابع الصنائعي و الإبتكاري الذي يفيد الجهد و الإبداع و الإشتغال على الذات إلى الطابع الترفيهي الذي يفيد اللعب و التسلية و غيرها من أساليب الإستجمام يخلق هذا المدلول ما يمكن تسمية بمجتمع الرفاهية."**[3] .

وقد توصل مالك بن نبي هو الآخر إلى القول بوجود حل من خلال عملية الإصلاح و التجديد ، والتي تتمحور حول بناء العالم الثقافي للإنسان هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ينبغي أن تحدد بدقة جوهر الإشكاليات الفرعية الذي تتفرع عن الإشكالية الجوهرية ، و هي إشكالية الأزمة الثقافية ، وقد عرض هذا في الكتابه " مشكلة الثقافة " .

---

[2] _ مالك بن نبي ، نظرات الفكر الإسلامي ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، دار الفكر ، بيروت ، دون طبعة ، 1995، ص 42.

[3] _ محمد شوقي الزين ، الثقاف في الأزمنة العجاف ، فلسفة الثقافة في الغرب و عند العرب ، مرجع سابق ،ص 287

نجد أن إدوارد تايلور قد برهن على " **الإستمرارية بين الثقافة البدائية و الثقافة الأكثر تقدما ، خلافا لمن قالوا بقطيعة بين الإنسان المتوحش و الوثني و بين الإنسان المتحضر و التوحيدي، و كان حريصا على بيان الصلة الجوهرية التي كانت توحد بين الأول و الثاني** "[1]، يضيف قائلا " **ليس بين البدائين و المتحضرين إختلاف في الطبيعة ، بل مجرد فارق في درجة التقدم على طريق الثقافة** "[2] .

ولقد درس الثقافة في كل أنماط المجتمعات في مختلف أوجهها المادية و الرمزية و حتى الجسدية ، و تسائل عن التعايش بين أعراف الأسلاف و بين السمات الثقافية الحديثة ، وقد درس هذا من خلال النظر في الأثار الثقافية الباقية في المكسيك التي هي بقايا المراحل الأولى للتطور الثقافي ، وهي مراحل مرت بها ثقافة الشعوب المتحضرة حتما ، وقد إعتمد على المنهج المقارن على غرار مالك بن نبي الذي إنتهج المنهج الوصفي في تحليلاته ، وكذلك هو الآخر أشار إلى التعايش يكون في رقعة جغرافية معينة كمحور طنجة – جكرتا ، ونجده أيضا يميز بين مجتمعين هما المجتمع البدائي و المجتمع التاريخي مبرزا طبيعة السلوك الذي يمكن أن يفرزه أي من هذين المجتمعين " **فعندما يقوم مجتمع بدائي بوضع (المحرمات) حول تقاليده و أذواقه و إستعمالاته لا يكون المحرم مدعاة للضحك في ذاته ، و لكنه الفراغ الثقافي أو اللاثقافة التي تقوم بالدفاع عنها أعني بهذا مجموعة الأسباب التي ستبقى هذا المجتمع على ما هو عليه من ركود ، أما بالنسبة لمجتمع تاريخي فإن دفاعه عن أسلوب حياته هو دغاع عن شخصيته**"[1]

ومن هنا نجد أن المسألة الثقافية تلخص تجربة الأمة و المجتمع ، و وعيها بذاتها و بمحيطها ، فهي تشكل نافذة أساسية ، يطل من خلالها المرء على العالم و أحداثه و تطوراته ، حيث ظهرت أن المشكلة في تعريف إدوارد تايلور للثقافة عندما قال" **أن الثقافة شكلت كلا ، لكن فكرته عن الكل كانت قائمة بالميزات أصبحت نتيجة ذلك الثقافة قابلة للجرد إنما ليس للتحليل**"[2] إذا إتجهنا إلى الجانب الديني ، نجد أن مالك بن نبي قد وضع الدين هو العمود الأساس لقيام المجتمعات ، فالدين هو مركب الحضارة ، وقد ذهب إلى هذا

---

[1] _ دونيس كوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية، مرجع سابق، ص ص 32، 33.

[2] _ المرجع نفسه، ص 34.

[1] _ المصدر السابق، ص ص 132، 134 .

[2] _ آدم كوبر ، الثقافة ، التفسير الأنتروبولوجي ، ترجمة : صباح صديق الدملوجي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2012، ص 95 .

أيضا تايلور فقد" **نظر في أصول المشاعر الدينية عند البشر مفترضا أن " الأحيائية" هي أولى عوامل هذه المشاعر ، ولاحظ أن في "الدين " عدة مكونات ، معتبرا أهمها الإيمان بكائنات غيبية في مقابل الإيمان بالنظر الأخلاقية و النظرة الكونية** "[3] فقد قام بدراسة ميدانية للوصول إلى إبراز عامل الدين في تطوير الحضارات و الثقافات .

ومن هنا نستخلص أن الثقافة التي أعدها مالك بن نبي كعامل تاريخي ، وهذا لكي نفهمها و نعيدها إلى مستواها الحقيقي كذلك كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع ، أما إدوارد تايلور فالثقافة هي عنصر مساعد لفهم تاريخ بين الإنسان فدراسة الثقافة هي دراسة تاريخ تطور الفرد باعتبارها العملية التاريخية العقلية لتطور عادات الإنسان و تقاليده من حالتها غير المعقدة فالأكثر تعقيدا ، فقد كان أول من درس طرق إشعال النار عند البدائين ، و طريقة الطهي بالحجارة الساخنة ، فكما أن مالك بن نبي كان يدعوا إلى التجديد و الإصلاح الذي يتمحور حول بناء العالم الثقافي للإنسان فأيضا تايلور من دعاة التطور البسيط من الأسفل إلى الأعلى ، من اللامعقول إلى المعقول ، وهو يعترف أيضا بوجود حالات من الركود و الارتداد الثقافي .

و لكن تبق الدراسة التي قام بها مالك بن نبي هي دراسة عربية على مستوى العالم الإسلامي و برؤية دينية محضة على غرار إدوارد تايلور الذي أقام دراسته في المكسيك لمعرفة كيف تتطور المجتمعات البدائية من خلال دراسات ميدانية باعتباره على أنتربولوجي.

---

[3] _ كليفورد غيرتز ، تأويل الثقافات ، مرجع سابق ، ص 24 .

المبحث الثاني :
بين مالك بن نبي و هيبوليت تين

بين مالك بن نبي و هيبوليت تين:

لقد عالج "هيبوليت تين " *كغيره من الفلاسفة مسألة الثقافة باعتبار فيلسوف فرنسي أول من عاج حقيقة العلاقة بين الأدب والمجتمع حيث وسع من أفاق الأفكار التي طرحت قبله مضيفا إلى بعدي العصر و الواقع الاجتماعي بعدا جديدا هو الجنس أو العرق ، مكونا بذلك ثالوث المعروف بالبيئة و الجنس و اللحظة التاريخية ، و انطلاقا من هذا الثالوث رسم معالم نظريته نحو الثقافة وكذلك الحضارة ، وقد أعطى لها تفسير وضعي وطبيعي حول الثقافة وكذلك الحضارة ، وقد أعطى لها تفسير وضعي وطبيعي ، وقام بتطبيق نظريته حول ما يسميه (العرق ، الوسط ، الوقت) في قراءته لتاريخ الأدب الإنجليزي وتاريخ الثورة الفرنسية وتاريخ الفن و ثلاثية تين تشبه ثلاثية مالك بن نبي التي تحدث عنها في كتابه شروط النهضة (الإنسان ، التراب ، الزمن) وهي من مقومات الحضارة ، وقد استعمل رباعية لرسم هيكل الثقافة وهي (الصناعة كمادة، الذوق الجمالي كصورة ، المنطق العملي كفعالية ، المبدأ الأخلاقي كفاية) ، وكذلك نجده هو الأخر استعمل أو أتبع التفسير الوضعي الطبيعي لتحديد معالم الثقافة وهذا لأن مالك بن نبي "**كان مهندسا كهربائيا ، وكان للنظريات العلمية في تفسيراته وأرائه دورهم، مثله مثل تين الذي في تفسيره للنمو الحضاري و الارتقاء البشري في التاريخ جعل من علم**

---

*(Taine ,Hlppolyte Adolpohe) هيبوليت أدولف تين: فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي فرنسي ، ولد نيسان 1828في فوزييه ، ومات في 5 أذار 1893في باريس، من مؤلفاته: أصول فرنساالمعاصرة ، في العقل ، تاريخ الأدب الإنجليزي.

الأحياء ونظرية التطور مركز قراءاته و تأويلاته "[1] ، والدارس لكلا من الفيلسوفين يجد أن كلاهما مفتتن بالمنهج الوضعي في قراءة الأحداث التاريخية فمثلا عندما نقرأ مالك بن نبي نجده يشبه بعض الأمور باستعمالات علمية مثل تشبيه التركيبة الثقافية بالتركيبة الدموية أو الوظيفية الثقافية بالدارة الكهربائية ، أما تين فنجده يقول "**الحضارة عبارة عن جسد حيث ترتبط أعضاؤها على غرار ارتباط أعضاء الجسد العضوي**"[1]ومالك بن نبي يجعل الدين من مقومات الحضارة إذ أن المبدأ الأخلاقي هو الذي الذي يوجه ويحرك عناصر الثقافة حبث نجده يقول " **الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء** "[2] ، أما تين فهو يرجع ظهور الحضارة بأنه معجزة ، مثل المعجزة الإغريقية ، ولكن مالك يعتبر السماء تأويل إسلامي بحكم الإنتماء الثقافي.

لقد شرح هيبوليت تين فكرة (العرق ، الوسط ، الوقت) في أطروحته للدكتور عنوانها لا فونتين وحكاياته الأسطورية حيث كتب في الخاتمة "**يتلقى العرق من المناخ و التراب و الأغذية طبعه ، وأيضامن الأحداث الكبرى التي خضع لها منذ الأصل ، يجعل الطبع من العرق تهذيبا لروح معينة و إدراكا لجمال معين**" [3]و لقد اعتمد تين على منهج و هو جمع الوقائع و البحث عن العلل ، ومن خلال هذا وجد أن العلة الغائية الجامعة بين العناصر هي الاستعداد الأخلاقي و التي يقابلها المبدأ الأخلاقي عند مالك بن نبي و الذي بدوره يحرك العناصر الثلاث إذ يقول أن" **هذه العناصر الثلاث التي هي الإنسان و التراب و الزمن لا تمارس مفعولها ضمن حالة شتيتة ولكن ضمن تركيب متآلف يحقق بواسطتها جميعا إرادة وقدرة المجتمع المتحضر**"[4]، ويقول أيضا عن المبدأ الأخلاقي بأن " **الأخلاق هي التركيب التربوي لكل هذه العناصر ولذلك كانت فصلا جوهريا من فصول الثقافة ، نتصوره لا على أنه تاريخ بل على أنه مشروع تاريخ**"[5]، أما تين فوجد أن الصنائع البشرية باختلاف أنواعها تقف تحت عنوان الاستعداد الأخلاقي " **فكل واحدة من الصنائع لها علة مباشرة هي الاستعداد الأخلاقي أو تواطؤ مجموعة من الاستعدادات الأخلاقية ، فمن وجد هذا الاستعداد كانت تلك الصنائع ، ومتى اختفى أو انعدم ، فإنها تختفي**" [1]، و باعتبار أن الثقافة هي السمة المميزة لأي أمة من الأمم روحيا وماديا ، وفكرا و إبداعا ، وفي إطار هذا التصور نجد أن مالك بن نبي تصوره عربي إسلامي نابع من القرآن الكريم ، فالثقافات هي

متعددة و تختلف في تركيبتها من بلد إلى آخر ومن تجمع بشري إلى آخر، لكن العلل التي تثيرها هي واحدة ، أما قراءة تين لمفهوم الثقافة هو ذو وجهة غربية محصنة مستقاة من واقعة المعاش ، ونجد أن فكرة تين مع

---

[1]_ محمد شوقي الزين ، الثقافة في الزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب و عند العرب، مرجع سابق، ص 284 .

[1]_ هيبوليت تين ، مدخل إلى تاريخ الأدب الإنجليزي ، منشورات هيث، بوسطن ، دط ،1998 ، ص 31 .

[2]_ مالك بن نبي ، شروط النهضة ، المصدر سابق، ص 51 .

[3]_ هيبوليت تين، لافونتين و حكاياته الأسطورية ، باريس هاشيت، دون طبعة ،1924، ص 340 .

[4]_ مالك بن نبي ، القضايا الكبرى، المصدر السابق، ص57 .

[5]_مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، المصدر السابق ، ص 65 .

[1]_ هيبوليت تين ، مدخل إلى تاريخ الأدب الإنجليزي ، المرجع سابق ، ص32 .

فكرة مالك بن نبي حول الثلاثية متقاربة جدا "**فالعرق بتعبير تين يتوافق مع الإنسان عند ابن نبي ويخص المنطق العملي لأن الإنسان هو مصدر الأفعال وتكمن خاصيته في بركة الأشياء ، أو الأدوات والوسط بتعبير تين يتناسب مع التراب عند بن نبي و يخص التوجيه الفني أو الصناعة بحكم أن الصناعة تستمد من الوسط أو التراب المادة الأولية في تشكيل الأشياء أو الأدوات ، وأخيرا الوقت عند تين وبن نبي يخص الذوق الجمالي على أساس أن تشكيل الأشياء و الأدوات يقتضي الزمن في تركيبها و التفني في نحتها لتكون قابلية للحكم الجمالي**"[2] ورغم هذا التقارب إلا أن لكل واحد قراءته الخاصة ، فنجد أن مالك بن نبي طبق هذه الثلاثية على العالم الإسلامي ، وقد كانت بمثابة الإرهاصات الأولية في تشكيل تصور عن الثقافة و بمثابة الأدوات المفهومية لقراءة بعض جوانبي الفكر العربي الإسلامي.

الحضارة من منظور هيبوليت تين	الحضارة من منظور مالك بن نبي	الثقافة من منظور مالك بن نبي
العرق	الإنسان	التوجيه الفني أو الصناعة
الوسط	التراب	الذوق الجمالي
الوقت	الوقت	المنطق العملي
العلة الجامعة: الاستعداد الأخلاقي	العلة الجامعة:الفكرة الدينية	العلة الجامعة: المبدأ الأخلاقي

لكن هيبوليت تين " **استعمل الثلاثية في قراءة متبحرة و تأويل دقيق كالمستويات الثلاثة وهي التاريخ (فرنسا الحديثة و المعاصرة) الأدب (الرواية الإنجليزية والأدب الفرنسي) و الفن ' المدارس الفنية في إيطاليا و هو لاندو اليونان)**"[1]، أما مالك بن نبي لم يستخدمها في قراءة التاريخ الإسلامي بل فقط في بعض النصوص التي كانت تقضي الإشارة إليه، وهذا لإنه لم يكن مؤرخا مثلما كان محمد أركون.

توصل مالك بن نبي من خلال تحليلاته إلى بروز علامات الأزمة الثقافية في الوطن العربي الإسلامي ، وهذا من خلال فقدان الإنسان لجوهره البشري وفقدان المجتمع لتماسكه الوظيفي و الحيوي ، وهذه الأزمة تحدث عندما تتعكر العناصر الثقافية و تنقل سمومها إلى الجهاز الرمزي للإنسان وهو يقول " **إن الأزمنة الثقافية تكون في** لكن تين حاول " **أن [2]ذروتها بالنسبة إلى الفرد إذا مقدرنا أنه حرم منذ البداية ما أسماه (الجو) الثقافي "**

---

[2]_ محمد شوقي الزين ، الثقافة في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب و عند العرب ، المرجع سابق ، ص 298 .

[1]_ الرجع نفسه ، ص 298 .

[2]_مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،المصدر سابق، ص 92 .

يقدم تفسيرا شاملا للعقل الإنساني و إنتاجا ته الفكرية و الجمالية ، ضمن سلالة معينة و في إطار بيئة محددة وفي سياق حقبة تاريخية مخصوصة، وذلك من خلال رسم خصائص نفسية لشعب بأكمله، وضبط العباقرة وذهنياتهم داخل ذلك الشعب." [3] **العوامل و المؤثرات التي تحدد نفسيات**

الخاتمة

[3] _Fabrice Thumerel , La Critique Littéraire, Op,Cité,P27-28.

خاتمة:

لقد تبن لنا من خلال هذه المذكرة أن الثقافة ليست هي ذلك الكم الهائل المكدس من المعارف و الخبرات إنما نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة، وهي ليست فقط تلك النشاطات الفنية كالرسم و النحت و الشعر و الموسيقي التي تعتبر مجرد مظاهر لها و ليست ظواهر مؤسسة، و لقد أدرجنا المرجعيات العربية الإسلامية رغم أن الحقل النظري فيها ضئيل، وكذا الغربية التي نجد فيها إسهاب في دراسة هذا المفهوم، ولقد تناولنا نظرية الثقافة بالنسبة لمالك بن نبي و مقارنته مع فلاسفة الغرب.

لكن النتيجة المستخلصة من جراء إشكالية الثقافة "أنها ليست مصطلحا مطاطيا " [1]بل هي نظرية شاملة ، تعبر عن روح وفلسفة المجتمع الحضارية كما عالجها مالك بن نبي ، وهي مبنية على أساس أربع محاور تساهم في تأسيس إنسان فعال و مجتمع قادر على العطاء وقد ذكرها بن نبي كالأتي :

_التوجه الأخلاقي لتكوين الصلات الاجتماعية .

_التوجه الجمالي لتكوين الذوق العام .

_المنطق العملي لتحديد أشكال النشاط العام .

_الصناعة أو الفن التطبيقي.

و موضوع الثقافة متعلق بالإنسان بالدرجة الأولى و بالمجتمع لذلك نجد "**مالك بن نبي**" يشير إلى أن أي إخفاق يحدث في المجتمع هو دليل على أزمته الثقافية، ومن هنا نجد أن إعادة بناء الإنسان هي في الحقيقة إعادة بناء الحضارة و لكن هذا يكون من خلال تجاوز أو حل مشكلة الثقافة أو القيام بنوع من الإصلاح الثقافي على مستوى الأمة العربية الإسلامية فأي تفكير في مشكلة الحضارة في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة وهذا ما أورده مالك بن نبي، والبعد الثقافي يساهم في بلورة إشكالية الإنسان، "فالأزمة الثقافية تكون في ذروتها بالنسبة للفرد، إذ ما قدرنا أنه حرم منذ البداية مما أسميناه الجو الثقافي"[2] .

---

[1] _سامية السعاتي، الثقافة و الشخصية،المرجع السابق ،ص 33 .

[2] _مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، المصدر السابق، ص 93.

ولقد حاول مالك بن نبي تشخيص العلل و الأمراض التي تعاني منها الأمة العربية و ذلك بالحديث عن كيفية الإصلاح و التجديد التي يربطها بمدى أفول الحضارة الإسلامية ، فعملية الإصلاح أو التغيير تبدأ من النفس الإنسانية التي هي شرط في تغيير المجتمع فحتى يتغير الإنسان عليه أن يغير عالمه الثقافي كما يرى "**مالك بن نبي**" وخير دليل وجده في قوله تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[1]، ولقد توصل إلى أن الاستعمار ليس سببا أوليا نحمله عجز الإنسان و خموله ، إذ يجب علينا أن نتخلص أو نتحرر من الاستعمار الذي سببه القابلية للاستعمار.

ومن هنا نجد أن الساحة العربية الإسلامية عرفت الكثير من المفكرين الذين إشتغلوا بالفكر وتخرجوا من الجامعات و معاهد الفكر العربية و الغربية ، لكن الفرق بين ما أنتجه بن نبي الذي لم يتخرج من أي جامعة أو معهد فكر ، بل اعتمد على فطرته الفكرية التي فطر عليها اجتماعيا و حضاريا و تاريخيا و روحيا ، كما اعتمد على قراءاته الشخصية و التي سبق و أن أبرزنا تأثره بأمهات الكتب لفحول العلماء و المفكرين العرب و الغرب أمثال ابن خلدون، شبنجلر، تونبي، هيبوليت تين و نيتشه و غيرهم ، ولهذا كانت روح فكره حية وتنبض، وكان فكره أكثر قربا من واقعه الاجتماعي و الحضاري .

---

[1] _ الرعد :11.

الفهارس

فهرس لقائمة المصادر و المراجع:

أ/قائمة المصادر:

القرآن الكريم :برواية ورش.

1.مالك بن نبي، أفاق جزائرية، ترجمة: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دون طبعة، 1991.

2.مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه، دار الفكر ، دمشق، الطبعة 1978،1.

3.مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، الطبعة 1، 1979

4.مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة:شاهين عبد الصبور و عمر كامل المسقاوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة 4،1987.

5.مالك بن نبي، فكرة الافرو أسيوية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، 1992.

6.مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، دون طبعة، 1986 .

7. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، الطبعة 1،1991.

8.مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، الطبعة 2، 1984.

9.مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، الطبعة 4، 1994

10. مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، دار الفكر، دمشق، الطبعة 3، 1986

11. .مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: بسام بركة، أحمد شعبو، إشراف و تقديم: عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة 1، 1988 .

12.مالك بن نبي، نظرات الفكر الإسلامي، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، بيروت، دون طبعة، 1995

قائمة المراجع باللغة العربية:

1.أحمد أبو زيد ، محاضرات في الأنتروبولوجيا الثقافية العربية،دار النهضة العربية، بيروت، دون طبعة، 1978 .

2.أدم كوبر، الثقافة التفسير الأنتروبولوجي، ترجمة: صباح صديق الدملوجي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة 1، 2012.

3.أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دار النفاءس ، بيروت ، الطبعة 2 ، 1986

4.ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ترجمة شفيق أسعد ، مؤسسة المعارف ، بيروت، الطبعة 2، 1977.

5.أمينة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون طبعة،1989.
6.إدوارد تايلور،الثقافة البدائية، بحوث في تطور الاسطورة و الفلسفة و الفن و العادات،ج، مواري، لندن، الطبعة 6الجزء الأول،1920.
7.بدران بن مسعودين، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري، أنموذج مالك بن نبي، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الوقاف الإسلامية، قطر، الطبعة 1، 1999.
8.بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، الطبعة 1، 2005.
9_ تيري إيجلتون ، فكرة الثقافة،ترجمة:ثائر ديب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2000.
10.دنيس كوتش،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، مراجعة: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة 1، 2007.
11.زكي الميلاد، المسألة الثقافية، من أجل بناء نظرية في الثقافة، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة 1، 2005.
12.سامية السعاتي، الثقافة والشخصية، دارالنهضة العربية ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1983
13.شبل فؤاد محمد، حضارة الإسلام في دراسة أرلوند توينبي، الهيئة العربية العامة للكتاب،القاهرة، دون طبعة، 1975.
14.سعيد جودت، الإنسان كلا و عدلا، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة 1، 1993.
15.سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دراسة في ضوء الواقع المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة 1، 1993.
16.الطيب برغوث، الفعالية الحضارية و الثقافة السننية، دار قرطبة، الجزائر، الطبعة 1،2004.
17.الطيب برغوث، حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الإجتماعية ، دار قرطبة، الجزائر، الطبعة 1،2004.

18.الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافة من إستراجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي،دار الينابيع للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة 1، 1993.
19.عبد القادر بوعرفة، الحضارة و مكر التاريخ،تأملات في فكر مالك بن نبي، رياض العلوم، الجزائر،الطبعة 1،2006.
20.عبد القادر بوعرفة، الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، دار الغرب، الجزائر، دون طبعة، دون سنة.
21.عبد اللطيف عبادة، فقه التغير في فكر مالك بن نبي، مؤسسة عالم الأفكار للنشر و التوزيع، الجزائر،الطبعة1 ،2006.
22.عبد المجيد النجار، الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، عوامل الشهود الحضاري ،دار الينابيع للنشر و الإعلام، الجزائر، الطبعة 1،1993.
23.فهمي جعدان، أسس التقدم عند مفكري الأسلام، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة 2، 1981.
24.كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات،مقالات مختارة، ترجمة:محمد بدوي، مراجعة:الأب بولس وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة 1، 2009.
25.محمد شوقي الزين، الثقاف في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب و عند العرب، منشورات الإختلاف، الجزائر، الطبعة 1،2014.
26.محمد بغداد باي، التربية و الحضارة في مفهوم التربية، و طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي ، عالم الأفكار ، الجزائر ، دون طبعة ، 2006، ص 104.
27.نورة خالد أسعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دار السعودية للنشر و التوزيع، الطبعة 1، 1997 .
28.هيبوليت تين، مدخل إلى تاريخ الأدب الإنجليزي، منشورات هيث، بوسطن، دون طبعة،1998
29.هيبوليت تين، لافونتيه و حكاياته الأسطورية، هاشيت، باريس، دون طبعة، 1924
30.يوسف حسين، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الحديث، دار التنوير، الجزائر، الطبعة 1، 2004.

قائمة المجلات:

1.حمودة سعيدي، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، الموافقات، مجلة جامعي تعنى بالبحوث و الدراسات الإسلامية، العدد3 ،جوان 1994.
2.زوهير عبد السلام، عيسى بن حدوش، الثقافة في الرؤية الوجودية التوحيدية، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، الجزائر، العدد7، جوان 2012.
3.الصالح عزيز، مشكلة الحضارة في فكر مالك بن نبي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد387، مارس1988.
4.عمار جيدل، نقد مسالك المسلمين في التغير الإجتماعي عند مالك بن نبي، رؤى، مجلة فصلية تعنى بقضايا التجديد و المستقبل الإسلام، العدد20، 2003.
5.محمد محفوظ، صحيفة الرياض اليومية الصادرة عن مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد14176، 17أفريل 2007.

القواميس و المعاجم:

1.إبراهيم مذكور، معجم فلسفي، الشؤون العامة للمطابع الأميرية، دون بلد، دون طبعة، 1983 .
2.إبن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، دون طبعة، الجزء الأول، 1988.
3 .جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، الفلاسفة المناطقة المتكلمون، اللاهوتيين، المتصوفون، دار الطليعة، بيروت، الطبعة 3،2006 .
4.خلف جراد، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة 1،2007 .
5.الفضل بن الحسن الطوسي، معجم البيان في تفسير القرءان ، الجزء1 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، 1968 .
6.مرتضي الزبيدي، تاج العروس،دار صادر،بيروت، دون طبعة، الجزء6 ، دون سنة.

المراجع باللغة الأجنبية:

1_E,B Taylor primitive culture(london ,1871),vol ,1 .
2_Raymond Wiliams culture and society(leicester,1993) .

فهرس المفاهيم

الإنسان: (Homme).

الثقافة: (Culture).

الحضارة: (Civilisation).

التراب: (Terre).

التقدم: (Progrès).

التغيير: (Chongement).

الزمن : (Tomp).

الإستعمار:

(Colonisation).

الصناعة: (Fabrication).

الفعالية: (Activité).

عالم الأشياء: (Monde des choses).

عالم الأشخاص: (Monde des hommes).

عالم الأفكار: (Monde des idées).

المنطق الأخلاقي: (Logiquer moral).

المنطق العملي: (Logiquer prutique).

القابلية للإستعمار: (Colonailisable).

فهرس المفاهيم

الإنسان: (Homme).

الثقافة: (Culture).

الحضارة: (Civilisation).

التراب: (Terre).

التقدم: (Progrès).

التغيير: (Chongement).

الزمن : (Tomp).

الإستعمار: (Colonisation).

الصناعة: (Fabrication).

الفعالية: (Activité).

عالم الأشياء: (Monde des choses).

عالم الأشخاص: (Monde des hommes).

عالم الأفكار: (Monde des idées).

المنطق الأخلاقي: (Logiquer moral).

المنطق العملي: (Logiquer prutique).

القابلية للإستعمار: (Colonailisable).